# العرش والدماء

أحمد غزالي

إسم الـــكتاب : العرش والدماء
إسم الكـــاتـــب : أحمد غزالي
تصميم الغلاف : عبدالله عباس
تدقـــيق لغوي : شيماء عبدالله
رقـــم إيـــداع : ٧٩٥٨ / ٢٠٢١
ترقيم دولـــي: 978-977-6810-99-0

شارك سطورك مع العالم

# العرش والدماء

## أحمد غزالي

**The Writer Operation**

شارك سطورك مع العالم

# مقدمة

يتحدث الكتاب عن تاريخ مصر القديم (الفرعوني) منذ عصر الملك مينا ٣٢٠٠ ق.م وحتى الغزو الفارسي لمصر ٥٢٥ ق.م بطريقة مبسطة.

وهو عبارة عن عرض لأهم ملوك مصر القديمة وأهم أعمالهم، كما أنه مدعوم بقصص قصيرة تروي المشاهد الرئيسية في حياة هؤلاء الملوك.

السرد القصصي لهذه المشاهد من وحي الخيال، وأما النبذات التاريخية فهي تاريخ حقيقي يستند إلى المصادر والمراجع.

هذا الكتاب لا يستهدف المتخصصين في مجال التاريخ، لكنه يستهدف فئة الشباب، فمن خلال عملي وبحثي في مجال التاريخ وجدت أن هناك عدد من الشباب لديهم رغبة في معرفة التاريخ لكنهم يجدون صعوبة في قراءته.

لذلك؛ جاء هذا الكتاب مبسطًا ومدعومًا بالسرد القصصي الذي كان متعمدًا لإضافة عنصر التشويق والإثارة.

وأخيرًا..

إذا أراد الله لهذا الكتاب أن يرى النور، فبإذن الله سيكون بداية لسلسلة من الكتب التي تتناول العصور التالية لهذه الحقبة على نفس النمط.

المؤلف

أحمد فتحي غزالي.

# مدخل

-لم يكن المصري القديم يعرف حياة الإستقرار، وإنما عاش حياة التنقل والترحال فوق الهضاب بحثًا عن الطعام والشراب، وكان يعيش على جمع الثمار وصيد الحيوانات والطيور، ثم جفت هذه الهضاب فاستحالت عليها الحياة، فنزل المصري القديم إلى الوادي حيث نهر النيل الذي هو مصدر دائم للمياه العذبة بأراضيه الخصبة على الجانبين.

-تعلم المصري القديم الزراعة وبالتالي بدأ مرحلة الإستقرار. فليس هناك داعي للتنقل مادام الطعام والشراب متوفر باستمرار، فبدأ يبني البيوت ويزرع الأراضي. وقد أدى تجمع البيوت والأكواخ والأراضي المزروعة المتجاورة إلى ظهور القرى. وكان أهم ما يميز القرية هو التعاون بين سكانها، وكان لكل قرية معبودها الخاص.

-ثم ظهرت المدن نتيجة إتساع القرى وكثرة سكانها الذين شعروا بحاجتهم إلى نظام يحفظ لهم حقوقهم وواجباتهم وينسق العلاقات بينهم، وكان لكل مدينة أيضًا معبودها الخاص، وحاكم يرعى مصالحها.

-تجمع القرى والمدن أدى بعد ذلك إلى ظهور الأقاليم، وكان كل إقليم مستقل بذاته وله معبوده وحاكمه وجيشه الخاص الذي يحميه من الأعداء .

-إتحدت كل تلك الأقاليم فشملت مصر كلها في الوحدة الأولى عام (٤٢٤٢ ق.م). ولكننا ليس لدينا معلومات كافية عن هذه الوحدة التي تحققت قبل معرفة الإنسان للكتابة عام (٣٥٠٠ ق.م) تقريبًا، ولكن كل ما نعرفه عنها أن عاصمتها كانت (أون هليوبوليس) عين شمس حاليًا، وأن تلك الوحدة لم تدم طويلًا، فسريعًا ما إنقسمت البلاد إلى مملكتين متحاربتين هما: (مملكة الشمال) - (مملكة الجنوب).

-قامت العديد من المحاولات للتوحيد بين المملكتين آخرها محاولة (الملك العقرب) إلا أن تلك المحاولات باءت جميعها بالفشل.

# الفصل الأول- (الموحد)

وقف أمام قبر معلمه بعينين تملؤها الدموع.

ذلك المعلم الذي إحتل في قلبه مكانة لم ولن يملكها غيره.

تذكر كيف كان يذهب إليه تاركًا اللعب والضحك مع أمثاله من الصغار.

كيف كان ينصت بكل إهتمام إلي حكاياته بعينين تملؤها الانبهار، تلك العينين التي ملئتها الدموع الآن حزنًا على فراقه.

وفجأة...

جفت عينيه عن البكاء الذي حل محله نظرة لو رآها أحد حراسه لجرى فزعًا وهربًا من تلك العيون المليئة بالعناد، وهو يتذكر حوار معلمه له

-أنت العقرب الصغير

-ماذا؟

-نعم يابني، أنت العقرب الصغير

-ماذا تقصد يا معلم؟

قالها الصغير متعجبًا حديث معلمه الذي قال

-ستعيد يابني أمجاد العقرب، بل ستحقق ما لم يستطع تحقيقه.

ضاقت عينًا الصغير وهو يسأل

-أتتحدث عن الملك العقرب الذي حارب الشمال وعمل على إخضاعه؟

فرد المعلم مؤكدًا

- نعم، أنت العقرب القادم

رد الصغير وقد بدأت الدهشة تكسو ملامح وجهه

-أنا، كيف؟ ما عهدتك منجمًا يا معلم

قال المعلم وقد إرتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة

-يابني لست بعلام الغيوب، ولكن ذلك الشيب على رأسي ما جعلني أرى بلحاظ الرأي ما هو واقع، أنت الذي تبتعد عن أمثالك من الصغار غير مهتم باللهو واللعب. كما أنني أراك مهتمًا بدروسك وأيضًا تحرز تقدمًا ملحوظًا في دروس القتال، لذلك فأنت وإن كنت طفلًا صغيرًا إلا أني أراك قائدًا عظيمًا يقود جيوش الجنوب لمحاربة الشمال.

صمت المعلم قليلًا ثم أكمل قائلًا

-ولكن ليس لإخضاعه

رد الصغير متسائلًا باستغراب

-ليس لإخضاعه، إذا لماذا أحارب الشمال؟

أخذ المعلم نفسًا عميقًا ثم قال

-من أجل الوحدة.

-ماذا؟

-الوحدة يابني.

ضاقت عيني الصغير مرة أخرى وهو يحاول أن يتذكر وقال

-مستحيل، أنت الذي أخبرتني من قبل أن البلاد قد إتحدت منذ زمن، ولكن تلك الوحدة قد فشلت، ولم يستطع أحد أن يعيدها مرة ثانية، برغم العديد من المحاولات والتي إنتهت بمحاولة الملك العقرب .

-أنت ستفعلها يا (نعرمر)

قالها المعلم وقد لمعت عينيه ببريق لم يراه الصغير من قبل

-أنا؟

قالها الصغير بدهشة وقد انبهر بكلام معلمه الذي وضع يده على

كتفـه وهـو يقـول

-أجـل، أنـت يابـني، ولكنهـا الوحـدة الـتي لـن تفشـل أبـدًا، وحـدة (نعرمـر) القابـض عـلى الأرضـين

ثم...

عاد إلى واقعه مرة أخرى عندما سمع صوت يقول

-كنت أعلم أني سأجدك هنا.

التفت إلى مصدر الصوت فوجد عمه

-أهلًا يا عم

-ألن تعود عمًا في رأسك؟

ابتسم وهو يرد قائلًا

-كثيرًا ما سألتني هذا السؤال وأنت تعلم إجابته ياعم

فوضع يده على كتفه وهو يقول برقة

-إذا، فلتحفظك الآلهة يا بني

ثم..

قاطعهم صوت قائد الجيوش وهو يقول بحزم شديد

-سيدي، الجيوش على أهبة الاستعداد، رهن إشارة سيدي للتحرك نحو الشمال

نظر إلى القبر وقال محدثًا معلمه في سره:

-لن أعود إلا قابضًا على الأرضين أو جثة محمولة لكي أدفن بجوارك.

*****

(تمت)

# نبذة تاريخية

-قام المؤرخ مانيتون السمنودي بتقسيم تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسرة. والتي تبدأ ب (الأسرة الاولى) التي أسسها الملك (حور-عحا).

-إقترح الباحثون تسمية الفترة التي سبقت (الأسرة الأولى) بإسم الأسرة (صفر) وهي الأسرة التي استطاع أحد حكامها الملك (نعرمر- مينا) أن ينتصر على مملكة الشمال ويوحد البلاد في الوحدة الثانية عام (٣٢٠٠ ق.م)، وهي الوحدة التي لم تفشل ولم تنتهي أبدًا وحتى الآن.

-وقد سميت تلك الفترة بإسم العصر العتيق (الأسرات ١- ٢)

# الفصل الثاني- (سقارة)

-ماذا سأقول له؟

قالها محدثًا نفسه وهو يشعر بالضيق، ثم أكمل

-بعد أن إختارني من بين الجميع ليضع ثقته بي، ماذا سأقول له؟

-سهرت كثيرًا اليوم يا (إيم)

قالتها زوجته بعد أن دخلت عليه غرفته الخاصة بالعمل فألتفت إليها

-تعلمين يا حبيبتي أن زوجك لا يهدأ له بال قبل الإنتهاء من العمل

-ولكنك في حاجة إلي الراحة، كيف ستقابله في الغد بهذين العينين التي تملؤها الاحمرار

فقال لها متنهدا

-أنت على حق، سأذهب لأنام قليلًا

-فلتأكل أولًا يا (إيم)، لم يدخل جوفك أي طعام منذ الصباح

-أشكرك ياحبيبتي، فقط كل ما احتاج إليه أن أسترخي قليلًا

دخل إلى سريره وأخذ ينظر في سقف الغرفة وهو مازال يفكر إلى أن بدأ النعاس يسيطر علي جفنيه.

ولكن، جاءه طفله الصغير وأخذ يداعبه إلى أن أذهب عنه النوم الذي زار عينيه بعد إشتياق يشكر عليه الآلهة

-أبي

قالها الصغير في رقة

-صغيري

قالها الأب متثاءبا ثم أكمل

-لماذا لم تنم طوال هذا الوقت؟، فجميع من هم في مثل سنك خالدين في نومهم الآن

-أشعر بالحزن

قالها الطفل بأسى، فرد الأب وقد إرتسمت علي وجهه ملامح القلق

-ماذا بك يا صغيري؟

-أنت لم تعد تحبني يا أبي

حلت الدهشة محل القلق على ملامح الأب الذي رد مؤكدًا

-تعلم  يا صغيري أني أحبك اكثر من أي شيء، ما هذا الذي تقوله؟

رد الطفل بمزيدًا من الأسى

-أجل، ولكنك لم تعد تلهو وتلعب معي كما عهدتك دائمًا

فإبتسم الأب وبدأت الطمأنينة تكسو ملامح وجهه واحتضن ولده وهو يقول له بصوت يملؤه الحنان والمحبة

-يا صغيري، أبيك لديه العديد من المسئوليات، ألم تعلم بأن لدي موعد هام في الصباح؟

فقفز الطفل ضاحكًا وهو يقبل أبيه وقال

-أجل أعلم، ولكنك الآن على موعد معي

-ماذا؟

قالها الأب مستغربًا ابنه الذي أمسك بيده وأخذ يسحبه من سريره وهو يقول

-تعال يا أبي، سأريك ماذا صنعت بألعابي!

فرد الأب بصوت مجهد وهو يتثاءب

-حبيبي، أبيك في غاية الإرهاق، اتركني الآن وأعدك بأن أقضي معك الوقت فيما يحلو لك بعد عودتي غدًا.

-ألم أخبرك أنك لم تعد تحبني كما كنت!

قالها الطفل وقد عاد الحزن لصوته مرة أخرى فرد الأب وهو يعقد حاجبيه

-لا تكن عنيدًا ياصغير

-أرجوك يا أبي

قالها الطفل بعد أن كادت عينيه أن تدمع فقام معه الأب وهو يشعر بضيق تعمد عدم إظهاره أمام الصغير الذي إرتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة وهو يأخذ أبيه من يده إلى الركن الخاص باللعب

-انظر يا أبي هذه الدُميَ صنعتها أنا وأصدقائي

نظر الأب بعينين تملؤها النعاس وهو يقول

-رائع يابني

-وأما هذه اللوحة فقد رسمتها ولكني لم أنتهي بعد من تلوينها

- حقًا إنها جميلة

-كما أن معلمي يرى أني أحرز تقدمًا ملحوظًا في دروس المصارعة، تعلم يا أبي أشعر أنني عندما أكبر سأصبح...

لفتت انتباه الأب قطع حجرية منقوشة متراصة بشكل شبه منتظم يميل إلى العشوائية فوق بعضها بحيث كانت قاعدتها كبيرة وتصغر مع الإرتفاع إلى أن تنتهي عند نقطة واحدة في الأعلى مما جعلها تأخذ شكل المثلث فقاطعه بملامح ملئها الإعجاب وقال

-ما أحلاها، هل أنت من قمت بصنعها؟

-نعم

قالها الصغير وقد إرتسمت على وجهه ملامح الفخر والثقة ثم أكمل

-فقد كانت قطع صغيرة من الطوب اللبن فكرت في أن أصنع منها هذا الشكل

ثم تساءل مبتسمًا

-هل تعجبك يا أبي

-إنها رائعة، أنا فخور بك يا ولدي، ولكن دعني أذهب الآن

قالها الأب وهو يحتضنه وقد قبله قبلة كبيرة ثم جرى بشكل مفاجئ نحو غرفته المخصصة للعمل تاركًا الصغير الذي إرتسمت على وجهه

ملامـح الدهشـة.

دخـل غرفتـه وأخـذ نفسًـا عميقًـا ثـم ضحـك بشـكل هيسـتيري وقـد ذهـب النـوم تمامًـا مـن عينيـه وقـال لنفسـه وهـو يـصرخ بسـعادة:

-وجدتها، وجدتها، وجدتها يا (إيم)

*****

-وجدتها يا مولاي

قالهـا بعـد أن أذن لـه الحـارس بالدخـول إلى القاعـة الرئيسـية لقـصر الفرعـون وكان ذلـك في اليـوم التـالي بعـد أن ظـل مسـتيقظًا طـوال هـذا الوقـت يعمـل عـلى تلـك الفكـرة الـتي حلـت بخاطـره قبـل شروق الشـمس بوقـت قصـير

-أهلًا بك، تفضل

قالهـا الفرعـون الـذي كان جالسـا عـلي عرشـة المصنـوع مـن الذهـب الخالـص، فـرد عليـه بصـوت لا يخلـو مـن تلـك الضحكـة الهيسـتيرية الـتي سـيطرت عليـه منـذ الأمـس

-وجدتها يا مولاي

-ماذا بك يا (إيمحوتب)

قالها الفرعون متعجبًا الرجل الذي ما عاهده إلا جادًا جامد الملامح

-لقد أمرتني يا مولاي أن أجد طريقة جديدة لبناء مقبرتكم لتأخذ شكل مختلف عن تلك التي بنيت من قبل

-نعم

-وجدتها يا مولاي

قالها وقد عادت إليه تلك الضحكة الهيستيرية مرة أخرى، الأمر الذي جعل الفرعون يضيق صدره ويقول في شيء من الصرامة

-هات ما عندك يا رجل

رد (إيمحوتب) و قد عاد إلى صوابه وتذكر أنه يقف أمام الفرعون فارتسمت على وجهه ملامح الجدية

-مولاي، تعلم أن طريقة الدفن قد اختلفت عما كانت عليه، فقديما كانوا يحفرون حفرة صغيرة لدفن موتاهم، أما الآن فقد أصبحنا نحفر غرف كبيرة تحت الأرض يعلوها مصطبة، وتكون تلك المصطبة بمثابة شاهدا للقبر

-أخبرني بشيء لا أعلمه يا (إيمحوتب)

قالها الفرعون متلهفًا ليحث الرجل على أن يستعرض فكرته بشكل مباشر

-سنبني فوق المقبرة سبع مصاطب كل واحدة أصغر مما تحتها، وبذلك نحصل على هذا الشكل.

قالها (إيمحوتب) وهو يشير للخادم بأن يأتي بالقطعة ذات الشكل الهرمي التي قام بتشكيلها إقتباسًا من قطعة ابنه الحجرية ولكنها بطبيعة الحال كانت أفضل وأكثر تنسيقًا

-ماهذا الجمال؟

قالها الفرعون بعد أن اتسعت عيناه من شدة الإعجاب بذلك التصميم الجديد الرائع الذي لم يرى مثله من قبل ثم أكمل حديثه مبتسمًا

-كنت أعلم أنك ستفعلها، ومن غيرك لهذا الأمر يا ابن (بتاح) إله الفنون والحرف

إرتسمت إبتسامة كبيرة علي وجه (ايمحوتب) الذى قال

-أعتبر ذلك إذنًا من مولاي بالبدء في تنفيذ المشروع؟

-على الفور يا (إيم)

فرح (إيمحوتب) بمزاح الفرعون له -حيث قال له (إيم) وليس (إيمحوتب)- فرد

-أمر مولاي، أرجو أن تأذن لي بالإنصراف

-تفضل

خـرج (إيمحوتـب) مـن القاعـة، ولمعـت عيـني الفرعـون وهـو ينظـر إلى القطعة الحجريـة -هرميـة الشـكل- الـتي مازالـت مكانهـا وارتسـمت عـلى وجهـه ملامـح الفخـر وقـال بابتسـامة محدثًـا نفسـه

-فلتكن أول مقبرة هرمية الشكل..

وأول بناء حجري ضخم في التاريخ..

مقبرتي..

مقبرة (الملك زوسر).

(تمت)

# نبذة تاريخية

-انتهى العصر العتيق بانتهاء فترة حكم الملك مينا وخلفاءه (الأسرات ١- ٢). وجاء عصر الدولة القديمة (الأسرات ٣ - ٦) وقد سمي هذا العصر بإسم (عصر بناة الأهرامات)، وذلك لأن ملوك هذا العصر إهتموا كثيرًا ببناء الأهرامات.

-كان المصري القديم يعتقد في البعث والخلود، أي أن الإنسان سيبعث بعد موته مرة أخرى ثم يعيش حياة أبدية، لذلك إهتم بتحنيط جثث الموتى حتى تجد الروح جسدًا تعود إليه مرة أخرى.

-وقد إهتم المصريون القدماء ببناء الأهرامات لتكون مقابر حصينة يدفن بها الملوك ومعهم كل متعلقاتهم ليستخدمونها في الحياة الأخرى، وقد كان الإهتمام بالحفاظ على جثة الملك أمر في غاية الأهمية، لأنهم اعتقدوا أنه لابد أن يبعث الملك أولًا لكي يبعث الشعب بأكمله.

-كانت المقبرة في بداية الأمر عبارة عن حفرة في الأرض، ثم تطورت لتصبح حجرة يتم حفرها تحت الأرض ويوضع فوقها مصطبة.

-ثم جاء الملك (زوسر) (الأسرة الثالثة) وفكر في أن يبني مقبرة تكون مختلفة تماما عما قبلها، ففكر الوزير(ايمحوتب) -والذي كان مهندسا في نفس الوقت- في أن يضع فوق المقبرة ست مصاطب كل واحدة أصغر مما تحتها، فأعطت ذلك الشكل الهرمي (هرم سقارة المدرج) وكان هذا أول بناء حجري ضخم في التاريخ.

-ثم تطور بناء المقابر مرة أخرى في عهد (الأسرة الرابعة) لتأخذ الشكل الهرمي الكامل مثل الأهرامات الثلاثة المعروفة لدينا (خوفو- خفرع- منكاورع)

-ثم كان التطور الأخير للمقابر في عصر الدولة الحديثة، حيث أصبحت المقابر تنحت بداخل الجبال مثل مقبرة الملك (توت عنخ أمون) والتي سنتحدث عنها فيما بعد

# الفصل الثالث- (الأكبر)

من داخل القاعة الرئيسية بالقصر الملكي اجتمع كلًا من الفرعون ووالدته الملكة (حتب- حرس) وعدد قليل من المستشارين منهم المستشار الأول وكبير المهندسين الذي قال وهو يلملم رسوماته التي تبعثرت بجانبه وهو يشرح للحاضرين

-وبذلك نكون قد انتهينا من جميع التصميمات، وقادرين على تنفيذ المشروع في الوقت الذي تحدده سموك يامولاي

-سيحتاج ذلك للكثير من الأموال والوقت والعمال

قالها الفرعون و هو في حيرة من أمره قبل أن يرد المستشار الأول

-خزينة الدولة عامرة يا مولاي، فقد تسلمتم زمام الحكم من أبيكم المعظم (سنفرو) والرخاء والإزدهار يعمان البلاد في جميع المجالات، بسبب انتعاش التجارة واستباب الأمن

ثم أكملت الملكة وقد ارتسمت على ملامحها بعض عاطفة الأمومة على الرغم من محاولاتها إخفاء ذلك أمام الحاضرين

-وأما عن الوقت، فلتمد الآلهة في عمرك حتى ترى بعينيك انتهاء مشروعك ا لعظيم

هز الفرعون رأسه مؤيدًا، ولكن ظلت ملامح الحيرة تكسو وجهه وقال متسائلًا

-عظيم، ولكن تبقى مشكلة العمال، فمن أين لنا بتلك الأعداد من العمال؟

صمت الجميع لبعض الوقت وأخذوا ينظرون لبعضهم قبل أن يستأذن أحد المستشارين من الفرعون الذي سمح له بالتحدث

-تفضل

-هي ليست مشكلة على الإطلاق يا مولاي، فليعمل ما لدينا من العمال ويتم جلب أفراد رعيتكم للمشاركة في هذا العمل، ولن يكون لهم الحق في الحصول على شيء

-ماذا تقصد يا رجل؟

قالها الفرعون وهو يعقد حاجبيه مستغربًا حديث المستشار الذي رد موضحًا

-قدسية عظمتكم توجب على الرعية بذل كل الجهد لإتمام هذا العمل

الخالـد لجلالتكـم

لذلك سيفعلونها بالأمر يا مولاي

-تقصد بالسخرة ؟

قالهـا الفرعـون متسـائلًا وقـد ضاقـت عينيـه وبـدأ الغضـب يكسـو ملامـح وجهـه، الأمـر الـذي جعـل المستشـار عاجـزًا عـن الـرد، ذلـك قبـل أن يهـتز القـصر مـن صراخ الفرعـون الـذي أكمـل غاضبًـا

-لسـت أنـا مـن يمجـد نفسـه بالسـخرة، لسـت أنـا مـن يسـتعبد رعيتـه فيظلـوا يلعنونـني وأحفادهـم عـلي مـر العصـور. كمـا سـتلعنني الآلهـه يـوم البعـث لأخلـد في الجحيـم، هـذا لـن يحـدث أبـدا. أغـرب عـن وجهـي يارجـل ولا تجعلـني أراك ثانيـة.

خـرج المستشـار مهـرولًا مـن القاعـة يحمـد الآلهـة عـلى أنـه مـازال حيًـا، فلـو أمـر الفرعـون بتقطيـع أطرافـه -الـتي إرتعشـت- لقـضي أمـره.

ظـل الجميـع صامتًـا في تلـك اللحظـات الـتي أغمـض فيهـا الفرعـون عينيـه ليهـدئ مـن روعـه، ثـم قـال محـاولًا اسـتعادة هـدوءه مـرة أخـرى

-ليكـن ذلـك في موسـم الفيضـان، وليأخـذ كل عامـل حقـه، وبذلـك نكـون قـد تغلبنـا عـلى مشـكلة البطالـة الـتي كثـيرًا مـا عانينـا منهـا في نفـس الوقـت مـن

كل عـام

تردد كبير المهندسين قبل أن يقول

-لكن يا مولاي، بذلك سيستغرق الأمر سنوات وسنوات

رد الفرعون سريعًا و قد بدأ الغضب يكسو ملامحه نسبيًا مرة أخرى

-لا يهم، فليستغرق الأمر ما يستغرقه

ثم استعاد هدوءه سريعًا وأكمل

-وليتـم قبلهـا إعـداد بيـوت للعمـال وصوامـع للغـلال الخاصـة بطعامهـم بجانـب الموقـع

-أمر مولاي

قالها كبـير المهندسـين قبـل أن ينـصرف الجميـع بينمـا ظلـت الملكـة بجانـب ابنهـا الـذي اقتربـت منـه بابتسـامة وقـد ارتسـمت عـلى وجههـا ملامـح الأمومـة -الـتي حاولـت إخفائهـا منـذ دقائـق أمـام الجميـع ولكنهـا في تلـك اللحظـة تركـت لهـا العنـان- ثـم مسـحت عـلى تاجـه الذهـبي فـوق رأسـه وهـي تقـول

-لتحفظك الآلهة، فوالدتك راضية عنك يا (خوفو)

(تمت)

# نبذة تاريخية

-كان الملـك (سـنفرو)- مؤسـس الأسرة الرابعـة- مهتمًـا بالتجـارة الخارجيـة وأرسـل البعثـات لبـلاد فينيقيـا (سـوريا ولبنـان حاليًـا) لجلـب خشـب الأرز الـلازم لصناعـة السـفن، كمـا إهتـم بإرسـال البعثـات الاستكشـافية للبحـث عـن المعـادن في سـيناء

-تـولى الحكـم بعـده ابنـه الملـك (خوفـو) مـن زوجتـه (حتـب حـرس)، وقـد تسـلم خوفـو زمـام الحكـم مـن أبيـه وكان الرخـاء يعـم البـلاد نتيجـة لإزدهـار التجـارة واسـتتباب الأمـن، ممـا مهـد لـه الطريـق لإقامـة مقـبرة ضخمـة لعبـت الـدور الأول لتحقيقهـا خزينـة الدولـة العامـرة

-وقـد إسـتمر بنـاء الهـرم الأكـبر حـوالي عشريـن عامًـا، وشـارك في بنـاءه حـوالي مائـة ألـف عامـل، وقـد إتهـم الكثـيرون الملـك خوفـو بأنـه كان جبـارًا وبـنى الهـرم عـن طريـق السـخرة والتعذيـب وإجبـار العمـال عـلى العمـل بـدون أجـر، ولكننـا نجـد أن ذلـك ليـس لـه أي أسـاس مـن الصحـة والدليـل عـلى ذلـك

أولًا: كان الفرعون مقدس لدى المصريين، وكانوا ينظرون له على أنه هو الإله. لذلك فلنا أن نتخيل أن كل مصري سوف يسعى للمساهمة في إتمام هذا البيت الخالد للملك الإله حتى يحصل على رضاه وبركته، ويمكننا أن نقارن ذلك بما يحدث في عصرنا الحالي، عندما يتم بناء مسجد أو كنيسة فإننا نجد أن كل فرد يسعى للمساهمة في إنجاز هذا العمل سواء ماديًا أو معنويًا

ثانيًا: كان لبناء الهرم في وقته فائدة إقتصادية عظيمة، إذ أنه يتيح فرص عمل للمزارعين الذين يعانون من مشكلة البطالة طوال شهور الفيضان

ثالثًا: لم ترد أي إشارة في النصوص المصرية إلى تسخير العمال أو إساءة معاملتهم

رابعًا: ورد في النصوص المصرية ذكر القرى السكنية التي كانت تقام للعمال بالقرب من منطقة الهرم، وشون الغلال التي كانت مخصصة لهم

خامسًا: إن تلك الإتهامات بالمعاملة الغير إنسانية لا تتناسب مع طبيعة النزعة الدينية التي عرف بها المصري القديم

# الفصل الرابع - ( الأوسط)

تعرضت مصر لأزمة داخلية كبيرة بعد وفاة الملك (خوفو) نتيجة للنزاع الذي دب بين أفراد العائلة المالكة للإستيلاء على العرش.

كان من المفترض أن يتولى العرش الأمير (كاوعب) الابن الأكبر ل (خوفو). ولكن يبدو أن (كاوعب) تُوفيَ قبل أبيه، مما أدى إلى نشوب صراع بين زوجات الملك، كل واحدة تحاول أن تصل بابنها إلى العرش.

وأيًا كانت نتيجة هذا الصراع فإننا نعلم أن الأمير(جدف رع) قد نجح في الإستيلاء علي الحكم، واستمر يحكم البلاد ثماني سنوات، وبنى هرمًا في منطقة أبي رواش (إلى الشمال من هضبة الجيزة) وإن كان قد تُوفيَ قبل أن يتمه.

*****

جلست في وضح النهار مع تعامد أشعة الشمس تتوسط الصف الأول بين الحاضرين، وإلى جانبيها كبار رجال الدولة في الساحة الكبيرة أمام

معبد الإله رع وقد ارتسمت على وجهها ملامح السعادة وهي تترقب ذلك المشهد الذي هو بمثابة الحلم الذي طالما حلمت بتحقيقه، حينما همس في أذنها صوت

-ها قد تحقق الحلم يا مولاتي

إلتفتت برأسها نحو مصدر الصوت لتجد أحد مستشاري القصر وقد ارتسمت على وجهه تلك النظرة التي لا تخلو من الخبث

-فعلها ابني بمنتهى الذكاء

قالتها بنبرة ملئها الفخر ثم أردفت قائلة

- بعدما رأينا جميعا الدماء التي سالت ليصل (جدف رع) للحكم بعد وفاة (خوفو). ها نحن الآن نرى التسليم الآمن للسلطة، فكما أخبرتك فعلها ابني بمنتهى الذكاء

فقال لها ساخرًا ومازالت تلك الابتسامة الخبيثه تكسو ملامح وجهه

-أحقًا؟ هو من فعلها؟

فإلتفتت إليه مستنكرة

-ماذا تقصد؟

ثم أكملت في غضب

-ليس لك دور في هذا

قالتها قبل أن تتذكر ذلك الإتفاق الذي عقد بينهما بعد وفاة (جدف رع).

ثم..

حاولت أن تسترد هدوءها وهي تلتفت للأمام مرة أخرى في محاولة منها لتفادي النظر لعينيه قبل أن تقول

-ومع ذلك، لنتحدث بعد الانتهاء من مراسم التتويج

ثم أخذا ينظران كما ينظر الجميع إلى المشهد العظيم الذي يتم من خلاله تتويج الفرعون الجديد.

*****

## بعد أيام قليلة

دخل الفرعون الجديد -بعد مزيدًا من التردد- إلى غرفة والدته فوجدها واقفة أمام شرفتها بذهن شارد حتى أنها لم تنتبه لدخوله.

-كيف حال مولاتي؟

قالها بصوت هادئ محاولًا أن يخفي ضيقه في صدره

-كنت أعلم أنك ستأتي

قالتها بهدوء دون أن تلتفت إليه ومازالت تنظر نحو شرفتها وكأنها تعلم سبب مجيئه، الأمر الذي جعل الشك يعود إليه من جديد فنظر لها نظرة طويلة قبل أن يسألها

-لماذا؟

-كان لابد لهذا الأمر أن يحدث

قالتها بثقة مما جعل الشك الذي بداخله يتحول إلى يقين، فعقد حاجبيه وهو يقول

-ألم أخبرك أني لا أريد الدماء؟

قالت ومازالت تنظر نحو الشرفة وغير قادرة على النظر إلى عينيه

-كان يجب أن يموت

أخذ نفسًا عميقًا ومسح وجهه بكفيه ثم قال متنهدًا

-وكيف يبدأ عهدي بالدماء؟

قالت دون أن تلتفت إليه وقد بدأ صبرها ينفذ

-إنه ليس من العائلة

-ولكن يا أمي....

قاطعته وهي تلتفت إليه بعينين متسعتين وقالت بعصبية

-لقد هددني في حفل التتويج، وأنت تعلم أنه في استطاعته أن يشعل نار الفتنة بين العائلة من جديد، تلك النار التي أخمدتها أنت بأعجوبة شديدة قبل أن تتسلم السلطة في أمان.

ثم ذرفت دمعة من عينها وهي تقول بحزن وأسى شديدين

-إنها غلطتي يابني، أنا التي عقدت معه ذلك الإتفاق اللعين ليساعدك في الوصول للحكم، ولكنك فعلتها بنفسك ودون أي مساعدة منه، وقد جاء الآن يطلب ثمن مساعدة لم يقدمها

ثم أغرقت الدموع عينها قبل أن تضمه إلى حضنها وتقول

-كنت أخشى عليك من العائلة، وكنت لأفعل أي شيء لكي تتسلم السلطة بعد أخيك (جدف رع)

فنظر إلى عيناها وهو يمسح دموعها ثم أخذ يقبل يداها وهو يقول

-لكن، لماذا لم تخبريني؟

مسحت على رأسه بنظرة ملئها الحب والحنان وهي تقول

-لم أرضى ليديك أن تتلوث، فأنا أعرفك كم تكره الدماء يا (خفرع)

*****

(تمت)

# نبذة تاريخية

-بعد وفاة الملك خوفو دب الخلاف بين أفراد أسرته فقد كانت كل زوجة من زوجاته تسعى لتولية ابنها الحكم، وبالفعل وصل للحكم ابنه (جدف رع) وقد دب الخلاف بعد وفاته مرة أخرى.

-نجح (خفرع) -أخو (جدف رع) وابن (خوفو)- في الوصول للحكم بعد تهدئة الخلافات والتوفيق بين أبناء الأسرة مرة أخرى.

-صمم مهندسو (خفرع) هرمه على نفس نمط هرم أبيه، ولكن جاء ارتفاعه أقل منه عدة أمتار، وقد إرتبط إسم خفرع بأثر آخر لا يقل أهمية عن الأهرامات الثلاثة وهو (أبو الهول).

-وهناك رأي يقول أن هذا التمثال يمثل خفرع جامعًا بين قوة الأسد وحكمة الإنسان، وهناك رأي آخر يقول أن التمثال فعلًا قد نحت في عهد خفرع لكنه يمثل إله الشمس (حور- أم- أخت).

-أما عن الإشتقاق اللغوي لإسم (أبو الهول) فنجد أن (هول) هي تحريف لإسم الإله (حور)، وأما (أبو) فيبدو انها تحريف لكلمة مصرية قديمة (بو) وتعني مكان. وهكذا نجد أن (أبو الهول) تعني (مكان الإله حور).

# الفصل الخامس (الأصغر)

في الليل وبعد أن انطفأت مشاعل الإنارة بالقصر فيما عدا القليل منها، كان الملك قد إستوى على سريره، ولكن كعادته ظل مستيقظًا، يفكر في أحداث يومه قبل أن يأتي النوم إلى عينيه، وكانت قد استلقت بجانبه أخته الملكة التي اضطر أن يتزوجها منذ عدة أشهر حفاظًا على عرش أبيه الملك (خفرع).

-أمازلت مستيقظًا؟

قالتها الملكة للملك بعد أن لاحظت حركته الزائدة، فأدركت أنه مازال مستيقظًا

-نعم

-هكذا دائمًا، فالفراش هو المكان الوحيد الذي تستيقظ به

إستفزت كلماتها الملك الذي إلتفت إليها سريعًا وهو يقول

-ماذا تقصدين؟

-لا شيء.

قالتها ببرود وهي تعطي ظهرها له، فغضب الملك الذي جذبها ناحيته وهو يقول

-لا تجعلى صوتي يعلو أكثر من ذلك، ولا تجعلي الخدم يسمعون شجارنا ككل ليلة. أخبريني، ماذا تقصدين؟

التفتت إليه مرة أخرى وهي تقول

-أنت تفهم قصدي جيدًا، دائما ما تستيقظ في فراشك بينما أنت نائمًا عن ما يدور في البلاد، فقد كنت أظنك وحشًا مثل أبينا (خفرع)، لكني فوجئت بأفعالك

صمت الملك قليلًا وهو يعقد حاجبيه مستغربًا ما قالته، ثم قال

-مازلت لا أفهم قصدك.

إعتدلت الملكة بجسدها ثم جلست على حافة السرير وهي تقول

-هل تستطيع أن تخبرني لماذ تتهاون مع الرعاع؟ بل وتعطيهم أكثر مما يستحقو ن

أدرك الملك ما تتحدث عنه فزفر زفرة قوية ثم قال وهو يحاول أن يكون هادئًا

-هؤلاء الذين تتحدين عنهم ليسوا رعاعًا، بل هم رعيتنا الذين علينا

رعايتهـم وتأمينهـم وتلبيـة إحتياجاتهـم.

ثم صمت قليلًا قبل أن يكمل

-كمـا أنـه علينـا أن نعطيهـم مسـاحة مـن الحريـة ليتنفسـوا قليـلًا بعـد العهـود السابقة

إتسعت عيناها وهي تقول

-مـاذا تقصـد بالعهـود السـابقة؟ أتـود أن تقـول أن عهـد العظيـم (خوفـو) والعظيـم (خفـرع) كانـوا فـترات ظلـم و..

قاطعها الملك في حدة قبل أن تنهي كلامها

-لـم أقصـد أي إهانـة لأبي أو جـدي، لكـن مـا أود أن أقولـه أنـه ليسـت القـوة وحدهـا هـي مـا سـتجعلنا نسـيطر عـلى البـلاد.

تعجبت الملكة من كلامه وردت ساخرة

-أحقًا؟ فكيف نسيطر عليها إذا؟

ثم علا صوتها وهي تكمل

-أخـبرني كيـف سنسـيطر عـلى البـلاد بعـد أن سـمحت للرعـاع بتزيـين مقابرهـم كالملـوك في الوقـت الـذي لـم تبـدأ حـتى في بنـاء مقبرتـك.

-هناك أمور أخرى أهم من بناء المقبرة، ومع ذلك سيبدأ العمل ببنائها قر يبًا

قالها بصوت هادئ محاولا تهدئة الموقف لكنها ردت مستنكرة

-ولكنك إخترت أن تكون المقبرة أصغر من مقبرتي العظيمان (خوفو) و(خفرع)

بدأ الملك يشعر بالضيق فبدأ صوته يعلو مرة أخرى

-أخبرتك أن هناك أمور في الدولة أكثر أهمية من بناء مقبرة بذلك الحجم، فميزانية الدولة لن تسمح بذلك.

فقالت وهي تضحك بسخرية

-أنت الملك (منكاورع) الذي يملك كل شيء في البلاد تتحدث عن الميزانية

-نعم، فمصلحة البلاد فوق كل شيء، حتى المقبرة.

ردت عليه

-لكن المقبرة..

قاطعها بحدة وقد إرتسم الغضب على ملامح وجهه

-كفى يا (خع- مرر)، أرى أنك تتحدثين أكثر من اللازم، وتتدخلين فيما لا

يعنيك، أنا حاكم هذه البلاد وأعلم جيدًا ما علي فعله

نظرت له بخبث شديد وهي تقول

-لا تنسى أنني الملكة، زوجتك وشريكتك في هذا العرش

نظر إليها الملك قليلًا في صمت ثم إقترب من أذنها وقال بهدوء شديد

-لا تنسي أنني لم أحبك يومًا، وأنني أضطررت للزواج منك فقط حفاظًا على عرش أبينا الملك (خفرع)

كان لوقع تلك الكلمات أثرًا واضحًا ظهرعلى عيناها اللتان ضاقتا وهي تنظر له بحنق شديد، ثم كادت أن تقول شيئًا لكنه إلتفت وأعطاها ظهره استعدادًا للنوم وهو يقول لها بلامبالاة

-نامي يا (خع- مرر)، وكفى ماسمعه الخدم من شجارنا في تلك الليلة.

(تمت)

# نبذة تاريخية

-دب الخلاف مرة أخرى حول العرش بعد وفاة الملك (خفرع)، ثم وصل للحكم ابنه الملك (منكاورع) بعد أن تزوج من أخته الأميرة (خع مرر نبتي الثانية) والتي كانت تعتبر شريكته في العرش.

-كان عهد كلًا من (خوفو) و (خفرع) قد تميزا بالحكم المركزي، فقد أمسكا البلاد بقبضة من حديد، إلا أن (منكاورع) إتبع في معاملة الشعب أسلوب يختلف عن أبيه وجده، فقد سمح لشعبه أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية كبيرة، كما سمح لكبار رجال الدولة أن يزينوا جدران مقابرهم بما شائوا من نقوش وزخارف، وكان هذا الأمر مقتصرًا من قبل على مقابر الملوك فقط.

-إهتم (منكاورع) بشئون شعبه ولم يعطي إهتمامًا كبيرًا لمقبرته، بالإضافة إلى تغير الظروف وضعف الإمكانيات، لذلك جاء هرمه أصغر بكثير من هرمي أبيه وجده، والذي أراد مهندسوه أن يكسوه بأكمله بحجر الجرانيت، إلا أنهم لم ينجزوا إلا نصفه تقريبًا.

# الفصل السادس (كاهن الشمس)

مـن داخـل القـصر الملـكي وقـف الفرعـون (أوسركاف) أمـام صـورة الفرعـون السـابق (سـنفرو)* -والـتي طالمـا أراد أن يقـوم بإزالتهـا مـن مكانهـا- يفكـر وقـد بـدت عـلى وجهـه ملامـح الهـم والأسى، كان ذلـك قبـل دخـول مستشـاره الأول (سـامورع) والـذي توطـدت علاقتـه بـه خاصـة بعـد مسـاعدته لـه في الوصـول للحكـم.

-صباح الخير يامولاي

-صباح الخير، تفضل

لاحظ (سامورع) أن الفرعون مهمومًا فسأل

-ماذا بك يا مولاى؟

تنهد الفرعون تنهيدة طويلة قبل أن يقول

-كيف أضمن العرش لأبنائي، وهم ليسوا من نسل ذلك الرجل؟

---

*سنفرو: مؤسس الأسرة الرابعه وهو أبو (خوفو) صاحب الهرم الاكبر

قالها وهو يشير بيده لصورة الملك (سنفرو) التي كان ينظر لها منذ قليل

-أهذا ما يقلق مولاي؟

قالها الرجل مستهينا بالأمر. فتعجب الفرعون وسأل

-أتراه أمرًا هينا؟

-بل وفي غايه البساطة يا مولاي

قالها الرجل بثقة مما أثار دهشة الفرعون الذي رد عليه ساخرًا

-أخبرني يا مستشار القصر، ويا حكيم العصر

إبتلع الرجل إستهزاء الفرعون به ثم قال

-بعد أن تستتب لنا الأمور يامولاي، وتزيد سلطة كهنة الإله (رع) في أنحاء البلاد سنجعلهم يبتدعون القصص والأساطير التي تؤكد أن سموك لم تكن فقط كبير كهنة الإله رع قبل إعتلائك للعرش، بل أنت ابن الإله (رع) نفسه

-ابن الإله رع؟

قالها الفرعون وهو يعقد حاجبيه وكأنه يدرس الأمر في رأسه قبل أن يسأل

-وهل سيصدقون ذلك ؟

-لاتقلق يامولاي، شعبنا الطيب سيصدق أي شيء نقوله، ولا تنسى أننا كهنة الدين الذي جعلهم ألعوبة بين أيدينا

-أخشى ألا ننجح في ذلك

قالها الفرعون وهو يفكر في عواقب الأمر، ثم رد الرجل

-سننجح، بل سنحقق نجاحًا باهرًا، وبذلك ستكون شرعيتنا الإلهية أقوى من الشرعية الملكية لأحفاد سنفرو

صمت الفرعون قليلًا ثم قال بحماس

-هذه مهمتك يا (سامورع)، فأنا أعتمد عليك في كل شيء منذ أن إعتليت العرش وتركت لك منصب كبير الكهنة

-شرف عظيم لي يامولاي، لا تقلق وأترك الأمر لي، بعد إذن سموك.

قالها (سامورع) قبل أن ينصرف تاركا الفرعون الذي إلتفت مرة أخرى لصورة (سنفرو) وهو يضحك بسخرية ويقول

-الشرعية الإلهية أقوى من الشرعية الملكية يااااا، (سنفرو)

*****

## قبل ذلك بثلاثة أشهر

جلس (أوسركاف) كعادته فوق مقعد كبير الكهنة -وذلك قبل أن يصبح الفرعون- وبجانبه مساعده (ساموع) ينتظران الخبر بفارغ الصبر

-سيدي كبير الكهنة، لقد مات الفرعون (شبسكاف)*

قالها الخادم ثم خرج بعد أن أذن له (أوسركاف) الذي إلتفت إلى (ساموع) قائلًا بسعادة غامرة

-عظيم، وبذلك سترث الأميرة (خنتكاوس) الحكم، وتصبح كطمي النيل بين أيدينا نشكلها كيفما نشاء مثلما نشكل الطوب اللبن، مما سيقوى مركزنا ويمكننا من تثبيت ديانة (رع) في جميع أنحاء البلاد

قال (ساموع) بطريقة توحي بالاستهتار
-أتصل تلك الحسناء للحكم ويظل سيدى كبير الكهنة علي حاله هكذا ؟

تعجب (أوسركاف) من تلك الطريقة التي تحدث بها مساعده، فقال بحدة

-أتستهزئ بي وتقلل من شأني وشأن منصبي أنا كبير كهنة الإله (رع)؟

---

شبسكاف*: ابن (منكاورع) صاحب الهرم الأصغرمن نسل (سنفرو) ويعتبر آخر ملوك الأسرة الرابعة حيث إعتلت بعده العرش أخته الملكة (خنتكاوس) التي تزوجها (أوسركاف) وبذلك يكون عهدها نهاية للأسرة الرابعة وبداية للأسرة الخامسة التي أسسها (أوسركاف) وأصبح الحكم في نسله بدلًا من نسل (سنفرو)

شعر (سامورع) برعشة داخلية من تلك النظرة التي رمقه بها سيده فحاول أن يهدئ من روعه وهو يقول

-عفوًا ياسيدي، من ذا الذي يستطيع أن يقلل من شأنك، أنت كبير كهنة الديانة الرسمية للبلاد

-إذا، ماذا تقصد؟

رد (سامورع) بخبث

-أليس لنا نصيب نحن كهنة (رع) العظيم من تلك الكعكة الكبيرة؟

ضاقت عيني(أوسركاف) وهو يسأل

-ماذا تريد أن تقول يا (سامورع)؟

-لماذا لا تصبح أنت الفرعون ياسيدي؟

إتسعت عيني (أوسركاف) من فرط الدهشة وهو يقول

-أنا؟

-نعم، أنت ياسيدي

أخذ (أوسركاف) يحك ذقنه بيده وهو يتساءل

-أنا فرعون، كيف؟

رد (سامورع) بمزيدًا من الخبث وقد إنخفضت نبرة صوته

-لن تستطيع (خنتكاوس) الجميلة أن تحكم البلاد وحدها.

ثم إقترب من أذن سيده وهو يهمس

-كما أنها لن تستطيع أن ترفض رغبة كبير الكهنة في الزواج منها

وهنا..

إلتمعت عيني (أوسركاف) وهو يتخيل نفسه جالسًا على...

العرش..

عرش الفرعون (أوسركاف)

(تمت)

# نبذة تاريخية

-بعد وفاة الملك (منكاورع) حكم ابنه الملك (شبسكاف)، ورغم قصر مدة حكمه. إلا أنه حاول أن يضع حدًا لنفوذ كهنة الشمس الذي كان قد بدأ يتعاظم، فعبر عن ذلك في تصميم قبره الذي جاء على شكل (التابوت) وليس على شكل الهرم، وذلك لإرتباط التصميم الهرمي بعبادة الشمس.

-بعد وفاة (شبسكاف) عاد النزاع بين أفراد البيت المالك مرة أخرى، ثم تولت الحكم (خنتكاوس)، ولم نعرف حتى الآن هل (خنتكاوس) هذه أخت (شبسكاف) أم زوجته، ولكن على أية حال فقد وصلت للحكم.

-وجد كهنة الشمس الفرصة سانحة أمامهم للسيطرة على مقاليد الحكم في البلاد. فتزوج (أوسركاف) كبير كهنة (رع) من (خنتكاوس)، وبذلك استولى على الحكم وانتهى حكم الأسرة الرابعة بعد أن أسس (أوسركاف) الأسرة الخامسة.

-ومـن الجديـر بالذكـر أن فـترة حكـم هـذه الأسرة كانـت تتمـيز بأنهـا عـصر تديـن وتقـوى، وأزيلـت الحواجـز نسـبيًا بـين الملـوك وكبـار رجـال الدولـة.

# الفصل السابع - (الثورة)

فوجئ الوزير (نائب الفرعون) الذي كان نائمًا على سريره ليلًا بكبير الحرس الذي إقتحم غرفته بداخل القصر الملكي (*)

-استيقظ ياسيدي الوزير، استيقظ

-ماذا حدث؟، أي كارثة أتت بك في ذلك الوقت اللعين؟

قالها الوزير وهو يتثاءب متعجبًا من الطريقة التي إقتحم بها كبير الحرس غرفته

-كارثة، كارثة ياسيدي

قالها كبير الحرس قبل أن يرد الوزير الذي مازال تظهر على وجهه آثار النوم

-أخبرني، ماذا حدث؟

---

(*)لم يكن من المعتاد أن يسكن الوزراء في القصور الملكية حيث كانت لهم بيوتهم الخاصة بجوار قصر الفرعون، ولكن بسبب زيادة سلطة هذا الوزير وسيطرته على الفرعون- ضعيف الشخصية- ومقاليد الحكم في البلاد، فقد إتخذ لنفسه غرفة خاصة داخل القصر الملكي بالعاصمة منف.

رد كبير الحرس

-إنها الثورة ياسيدي

-ثورة؟

قالها الوزير عاقدًا حاجبيه وهو لايصدق ما سمعه، ثم بدأت تتسلل إلى أذنيه أصوات وهتافات الثوار التي بدأت تتعالى خارج القصر

((الأرض لمن زرعها، الحرفة لمن إحترفها))

((الأرض لمن زرعها، الحرفة لمن إحترفها))

إلتفت الوزير إلى كبير الحرس وقال له موبخًا وهو يجذبه من ذراعه

-الآن؟ تخبرني الآن بالثورة؟ وهم على باب القصر

لم يستطع كبير الحرس أن ينظر إلى عيني الوزير الذي أكمل قائلًا

-ألم تكن تعلم؟ ألم أخبرك من قبل أن هناك مؤامرة تدبر ضدنا؟

-نعم ياسيدي

-إذا، أين كنت أنت ورجالك؟

-لقد كنت أظن أن الأمر لا يتعدى كونه تمردًا بسيطًا يمكننا السيطرة عليه بكل سهولة

قاطعه الوزير الذي اقترب من وجهه وهو يقول مستنكرًا

-تظن؟

لم يستطع كبير الحرس أن يتفوه بكلمة، وإلتفت الوزير إلى ستار نافذته التي يظهر عليها أضواء وظلال المشاعل التي يحملها الثوار ثم التفت إليه مرة أخرى وسأل

-هل أخبرتم الفرعون؟

رد كبير الحرس وهو مازال لايجرؤ على النظر إلى عين الوزير

-لا، فمن غيرك ياسيدي يستطيع أن يخبره بذلك الأمر

تنفس الوزير الصعداء وهو ينظر إلى ستار نافذته مرة أخرى وأخذ يفكر في الطريقة التي سيخبر بها الفرعون بما حدث

*****

قبل ذلك بعدة ساعات

في منتصف الليل وعلى ضفاف النيل في مكان ما ليس بعيدًا عن القصر الملكي وقف عدد من الرجال يتهامسون فيما بينهم

-هؤلاء الجبناء لم يظهر منهم أحد حتى الآن

قالها أحد الواقفين قبل أن يرد عليه آخر

-فلننتظر قليلًا، فأنا واثق من أنهم جميعًا سيأتون

-هل أخبرتم الجميع؟

-نعم، لا تقلق، فكل شيء على ما يرام

-إذا لماذا لم يأتي أحد حتى الآن؟

قالها بقلق شديد، ولم يكد ينهي كلماته حتى تسلل إلي سمعهم صوت تحرك الأغصان مما يدل على أن هناك شخص قادم من ناحية الأراضي الزراعية، فاختبأ الجميع وراء صخرة كبيرة على ضفاف النهر.

وفجأة...

ظهر من بين الظلام رجل يقول بصوت لاهث متقطع يبدو عليه الإرهاق من أثر الجري

-الأرض لمن زرعها، والحرفة لمن إحترفها

خرجـوا مـن مخبئهـم بعـد أن إطمـئن الجميـع لسـماع كلمـة الـسر، ثـم سـأله أحدهـم

-لماذا تلهث هكذا؟ هل كنت تهرب من شيئ ما؟ هل انكشفت خُطتنا؟

أخذ الرجل يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يقول

-نعم، لقد انكشفنا، وعلينا أن ننفذ خطتنا الآن قبل فوات الأوان

أخذ الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض قبل أن يقول أحدهم

-ولكن كيف سنخبر الجميع؟

فرد الرجل لاهثًا

-لا داعي للقلق، لقد تم إخبار الجميع بالمكان الجديد

نظر أحد الواقفين إلى الرجل وقال له في استنكار شديد

-مكان جديد؟، أنحن أخر من يعلم؟

إلتفت إليه الرجل ثم قال وقد وضع يده على كتفه

-ليـس هـذا وقـت اللـوم والعتـاب، لقـد حانـت اللحظـة الـتي انتظرناهـا منـذ سـنوات، وعلينـا أن نتحـرك فـورًا

-ولكن إلى أين؟

-إلى قصر الفرعون، ولتبارك الآلهة ثورتنا المجيدة

قالها الرجل بقوة في الظلام وهو ينظر إلى السماء فلاحظ الجميع عينيه اللآمعتين في ضوء القمر مما أشعل لهيب الثورة في قلوبهم.

ثم تحرك الجميع..

إلى..

قصر الفرعون.

*****

## بعد ذلك بعدة ساعات

مع اللحظات الأولى لشروق الشمس كان الوزير وكبير الحرس يقفان أمام باب غرفة الفرعون بالقصر الملكي في نفس اللحظة التي كان الخادم الخاص يعمل علي إيقاظ الفرعون من نومه وهو يخبره بأنهما يريدان مقابلته في أمر هام ولا يحتمل التأجيل. ثم خرج لهما الخادم وهو يقول

-تفضلا بالدخول

دخـلا إلى الغرفـة وهمـا يقدمـان التحيـة للفرعـون الـذي كان يفـرك عينيـه بيديـه مـن أثـر النـوم. وقـد بـدأ ينتبـه لأصـوات الثـوار بالخـارج، فنظـر لهمـا باسـتغراب وهـو يقـول

-ماذا أتى بكما في هذا الوقت؟ وما هذه الضوضاء بالخارج؟

نظـر الوزيـر وكبـير الحـرس كلًا منهمـا إلى الآخـر دون أن يسـتطيع أحدهمـا التفـوه بكلمـة واحـدة، فنظـر إليهمـا الفرعـون ثـم خـرج إلى الشرفـة ليجـد أعـداد كبـيرة مـن الجماهـير والذيـن إزداد صياحهـم بعدمـا رأوا الفرعـون في شرفتـه.

ظـل الفرعـون صامتـا وهـو سـارح في كل لحظـة مـرت عليـه منـذ أن إعتـلى العـرش وحـتى الأن، وظـل ينظـر للجماهـير الغفـيرة.

ثم..

ذرفت عيناه دمعة..

وهو ينتظر مصيره المجهول.

(تمت)

# نبذة تاريخية

-طال عهد الملك (بيبي الثاني) الذي وصل للحكم وعمره ٦ سنوات وظل يحكم البلاد ٩٤ عام، وكانت أمه وصية عليه، كما كان خاله الأمير (قاو) ووزيره في نفس الوقت هو صاحب اليد العليا في تصريف أمور البلاد.

-كان ذلك بداية لدخول البلاد في حالة من الضعف، وكانت البلاد في تلك الفترة تحتاج إلى ملك قوي يملك من السلطة والنفوذ ما يجعله يسيطر على حكام الأقاليم الذين ضعف ولائهم للحكومة المركزية، وأصبح لا هم لهم إلا الحصول على المزيد من السلطة، وتوريث تلك السلطة لأبنائهم دون الإهتمام بأحوال رعيتهم.

-لكن الملك (بيبي الثاني) لم يكن قويًا ولم يكن قادرًا على تصريف أمور البلاد. فأخذ حكام الأقاليم يسلبونه سلطاته.

-أخذت الأمور تزداد سوءًا ودخلت البلاد فيما يسمى بعصر الضعف والاضمحلال (عصر الانتقال الأول) ( الأسرات ٧:١٠)، وذلك بسبب ضعف الملوك ومحاولات كبار رجال الدولة تجريدهم من سلطانهم، وقد

نجحـوا في ذلـك إلى حـد كبـير.

-في ظـل تلـك الأوضـاع عـانى الشـعب الكثـير، فلـم يعـد الفـلاح يسـتطيع أن يقـوم بحـرث أرضـه دون أن يحمـى نفسـه بمجموعـة مـن قطـاع الطـرق، وإرتـدت سـيدات مـصر العظيمـات ثيابـا باليـة، وأهـين الموظفـين، وتوقـف إبحـار السـفن، وتـرك النـاس أطفالهـم الذيـن طالمـا تمنـوا ولادتهـم، وأصبـح رجـال الأمـن في مقدمـة الناهبـين، ولـم يعـد الرجـل يثـق بأحـد ولا حـتى بأخيه.

-وبذلـك لـم يكـن أمـام الشـعب إلا أن يثـور وينتقـم لنفسـه ممـن تسـببوا في تعاسـته وشـقائه، فثـار المصريـين وحطمـوا كل شيء وانعـدم النظـام وانقلبت الأمـور رأسًـا عـلى عقـب.

-وإذا كان الجانـب السـلبي لهـذه الثـورة يتمثـل فيمـا أصـاب البـلاد مـن دمـار واضـح، إلا أننـا لا يمكـن أن ننـسى الجانـب الإيجـابي، فقـد نجحـت الثـورة في تحقيـق أهدافهـا. وظهـرت طبقـة جديـدة في المجتمـع لا تعتمـد عـلى الحسـب والنسـب بقـدر مـا تعتمـد عـلى إمكاناتهـا وقدراتهـا العقليـة

-أيضًـا مـن خـلال هـذه الثـورة اسـتطاع المصريـين أن يضعـوا الخطـوط العامة لتصورهـم للحاكـم الـذي يـرى مصالحهـم ويعـبر عـن آمالهـم، كمـا نمـا في قلـب وعقـل المصريـين حـب الوطـن والإرتبـاط بـه والانتمـاء إليـه ممـا جعلهـم عـلى إمتـداد العصـور يبذلـون كل الجهـد للدفـاع عـن تـراب هـذا الوطـن.

-وقد كانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يثور فيها شعب على حاكمه وكبار رجال دولته، وبذلك يكون المصريين قد علموا البشر كيف يثوروا على حكامهم المستبدين

في كل مكان.....

وعلى مر العصور.

# الفصل الثامن (النبوءة)

كان وزيـرا للفرعـون (منتوحتـب الرابـع)، وقـد كان وزيـرًا قويًـا ولـه كلمتـه، وبمجـرد وفـاة (منتوحتـب الرابـع) اسـتطاع ذلـك الوزير أن يسـتولى عـلى الحكم ويسـيطر عـلى جميـع أنحـاء البـلاد بقبضـة مـن حديـد.

ولكن...

كيـف سيسـتقر لـه حكـم البـلاد وهـو ليـس مـن الأسرة الحاكمـة، فالشـعب لـن يقبـل أن يحكمـه رجـل لا تجـري في عروقـه الدمـاء الملكيـة، بـل وأمـه نوبيـة الأصـل، ويظهـر ذلـك جيـدًا عـلى ملامـح وجهـه.

*****

-لا تقلق يا مولاي، فلدي خطة عظيمة

قالها المستشار فانتبه له الفرعون وقال

-أخبرني بها فورًا.

-كما تعلم يا مولاي، لقد كنت في يوم ما مديرًا لإدارة المخطوطات والوثائق الملكية. قبل أن تنعم علي وتجعلني مستشارك الخاص.

رد الفرعون متعجبًا

-نعم، فأنا من أخترتك لهذا المنصب عندما كنت وزيرًا ل (منتوحتب)، ولكن ما علاقة ذلك بما نتحدث عنه الآن؟

-صبرًا يامولاي، سأخبرك بكل شيء، ولكن اعطني بعض الوقت وسأعود إليك في الحال.

قالها المستشار ثم خرج مسرعًا من القاعة الرئيسية بالقصر الملكي، وترك الفرعون في حيرته، ذلك الفرعون الذي أخذ يتحسس القطع الذهبية المحلي بها كرسيه، ذلك العرش الذي جلس عليه منذ عدة أيام، فتذكر كم تمنى أن يجلس عليه، وكم بذل من مجهود ليصل إليه، وكم سيبذل ليحافظ عليه.

ثم..

عاد إليه المستشار مرة أخرى وهو يحمل بردية ملفوفة بين يديه.

-هذا هو الحل يا مولاي

قالها المستشـار وهو يرفع لفافة البردي بيده إلى أعلى فرد الفرعون متعجبًا

-ما هذا؟

رد المستشار متحمسًا

-هـذه البردية تحتوي على نبوءة الكاهن المرتل (نفرروهو)

عقد الفرعون حاجبيه وكأنه يتذكر

-أليسـت هـذه النبـوءة الـتي تتحـدث عـن القائـد المنتظـر الـذي سـيخلص البـلاد مـن الفـوضى والدمـار؟

ابتسم المستشار وهو يقول

-نعم، هي بعينها يا مولاي.

سـكت الفرعـون قليـلًا وضاقـت عينيـه، وقـد خمـن مـا يقصـده المستشـار، فحـك ذقنـه بيـده وهـو يقـول لـه بهـدوء

-أخبرني بما يدور في رأسك

رد المستشار في خبث

-لقد أضفت إليها بعض التعديلات، وبعد موافقتكم يا مولاي، سيتم نسخها على عدد من البرديات والأوستراكات* وسيتم توزيعها في أماكن مختلفة من أنحاء البلاد.

فقال الفرعون في لهفة

-قص علي ما كتبت

فتح المستشار لفافة البردي التي في يده ثم إعتدل في وقفته وهو يقرأ النبوءة بصوت قوي وكأنه يخاطب الجماهير

نبوءة الكاهن المرتل (نفرروهو)

سيأتي ملك من الجنوب اسمه (أميني)- نسبة إلى أمنمحات- وهو ابن امرأة نوبية الأصل، وقد ولد في الوجه القبلي، وسيوحد البلاد ويلبس التاج المزدوج وسينشر السلام في الأرضين- مصر العليا والسفلى- وسيحبه أهلها، وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبد الآبدين، أما الذين كانوا قد تآمروا على الشر، فقد أخرسوا أفواههم خوفًا منه، والآسيويين سيقتلون بسيفه، وسيحرقون بلهيبه، والثوار سيستسلمون لنصائحه، والعصاه إلى بطشه.

---

الأوستراكا*: هي كسرات الفخار وقد استخدمها عامة الشعب من المصريين للكتابة عليها وذلك لصعوبة الحصول على ورق البردي))

بعد أن أنهى المستشار قراءة البردية أخذ الفرعون نفسًا عميقًا ثم ابتسم بدهاء وهو يقول

-وبذلك سيتأكد الجميع من شرعيتي في حكم البلاد

ثم ضرب بقبضته على يد كرسيه المرصع بالذهب وهو يكمل

-شرعية الفرعون (أمنمحات)..

(أمنمحات الأول).

(تمت)

# نبذة تاريخية

-إستردت مصر مكانتها مرة أخرى في عصر الدولة الوسطى الأسرات (١١-١٢). وكان (منتوحتب الثاني) واحدًا من أهم ملوك هذه الفترة، وكان ينتمي للأسرة الحادية عشرة.

-كان (منتوحتب الثاني) يحمل لقب (نب حج) أي سيد التاج الأبيض، وهو تاج الجنوب، إشارة لسيطرته على مصر العليا (صعيد مصر).

-وبعد عدة سنوات من حكمه حمل لقب (سما تاوي) أي موحد القطرين، حيث استطاع توحيد مصر مرة أخرى بعد فترة الضعف السابقة.

-ثم حمل اسمًا آخر وهو (نب حبت رع) وهو الاسم الذي أصبح يعرف به فيما بعد والذي ذكر في معبد الرمسيوم بين إسمي (نعرمر) و (أحمس)، وهم الملوك الثلاثة الذين إعتبرهم المصريين القدماء أصحاب الفضل في تأسيس العصور الثلاثة الرئيسة وهي(الدولة القديمة)و(الدولة الوسطى)و(الدولة الحديثة)

-حكم من بعده ابنه (منتوحتب الثالث) ثم (منتوحتب الرابع) الذي كان آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة، وجاء في الحكم من بعده وزيره (أمنمحات الأول) الذي أسس أسرة جديدة وهي الأسرة الثانية عشرة.

-ولد (أمنمحات الأول) على الأغلب من أم نوبيه -تشير إلى ذلك ملامح وجهه- ولعل ذلك كان من ثمار الزحف النوبي في فترة الانتقال الأول.

-بذل (أمنمحات الأول) جهدًا كبيرًا في تهيئة المناخ الملائم لتسيير عجلة الحياة في مصر ولكسب احترام جيرانها، ورغم ذلك فقد ظل الإحساس يلازمه بأنه لا يجري في عروقه الدم الملكي، وأن شرعيته في الوصول لعرش البلاد ليس لها ما يدعمها، فقد كان وزيرًا لآخر ملوك الأسرة الحادية عشر قبل أن يستولى على العرش، وكان لابد أن يقطع الطريق على معارضيه، فأعد النبوءة المعروفة باسم (نفر- تي) والمسجلة على بردية محفوظة في متحف لينجراد بروسيا.

-كتبت هذه البردية بهدف الترويج لهذا الحاكم الجديد الذي يدعى (أميني) اختصارًا لإسم (أمنمحات) والذي إختارته الآلهة لإخراج مصر من ورطتها.

-وجد (أمنمحات الأول) أن مدينة طيبة لا تصلح عاصمة لملكه، ولم يشأ أن يختار إحدى العواصم القديمة كمنف أو أهناسيا، وإنما إختار مكانًا

آخـر بالقـرب مـن اللشـت (تتبـع مركـز العيـاط بالجـيزة الآن) أسـماه (إثـت-تـاوي) أي القابضـة عـلى الأرضـين، إشـارة إلى توسـط موقعهـا بـين شـمال مـصر وجنوبهـا.

-نجـح (أمنمحـات الأول) في إعـادة الأمـن الداخـلي للبـلاد، وحـارب الآسـيويين وإنتـصر عليهـم، وأمـن حـدودو مـصر فشـيد مجموعـة مـن الحصـون لا تـزال أطـلال بعضهـا قائمـة في وادي النطـرون حـتى الآن.

-حكـم (أمنمحـات الأول) حـوالي ٣٠ عامًـا كان فيهـا عـلى قـدر كبـير مـن النشـاط في تدبـير أمـور مملكتـه، وحسـن تنظيمهـا، ونـشر الأمـن والنظـام فيهـا.

-شـاء لـه القـدر ألا يمـوت ميتـة طبيعيـة، إذ دبـرت لـه مؤامـرة لإغتيالـه عـلى يـد حريـم القـصر، وعـلى الرغـم مـن أن بعـض الباحثـين يشـككون في نجـاح المؤامـرة في إغتيالـه، إلا أنـه مـن الثابـت أن حياتـه في الفـترة الأخـيرة لـم تكـن هادئـة.

# الفصل التاسع- (سيزوستريس)

فرح الطفل (سنو) أخيرًا بعد أن إستجاب أبيه الملك لنداءاته المتكررة لكي يأخذه معه في رحلته إلى البحر الشرقي (البحر الأحمر).

وقف (سنو) أمام البحر وأخذ يتأمل صفاء مياهه وانعكاس أشعة الشمس عليها مستمتعا بنسمات الهواء الهادئة ورائحة البحر التي تخترق صدره فتشعره بالسعادة والإنطلاق.

ثم أخذ ينظر إلى السفن التجارية العملاقة المصنوعة من خشب الأرز المستورد من بلاد فينيقيا (سوريا ولبنان) والتي لم يرى مثلها من قبل، وكيف أنها تختلف تمامًا عن تلك القوارب الصغيرة المصنوعة من نبات البردي التي تجري في نهر النيل أمام قصر والده محملة بالبضائع الخفيفة.

انبهر (سنو) بذلك الأسطول الضخم الذي يحمل البضائع الضخمة، ثم أخذ يترقب العمال وهم يقومون بحمل تلك البضائع على ظهورهم وينقلونها إلى العربات التي تجرها الحمير والثيران، تلك البضائع التي ستصل بعد عدة أيام إلى منف ومنها سيتم توزيعها على أقاليم مصر عبر المراكب الخفيفة التي تجري في النيل

## بعد عدة أسابيع

كان يجلس (سنو) في ساحة كبيرة مع أقرانه من الصغار على شكل دائرة حول المعلم الذي وقف أمامهم ومعه ما يشبه الخريطة، وأخذ يستعرض أمامهم بعض المعلومات الجغرافية عن مصر من حيث الموقع والحدود والتضاريس، إلخ.

-وبذلك نكون قد انتهينا من درس اليوم، هل لديكم أي أسئلة؟

قالها المعلم قبل أن يرفع (سنو) يده فقال

-تفضل يا (سنو)

-لقد أخبرتنا يامعلم أننا نقوم بين الحين والآخر بحفر الترع والقنوات

-حقا يا (سنو) وذلك لكي تصل المياه من النيل إلى الأراضي الزراعية

-إذا، فهل نستطيع أن نحفر قناة في تلك المنطقة؟

قالها (سنو) وهو يشير بإصبعه ناحية الخريطة إلى تلك المنطقة الواقعة بين رأس البحر الشرقي (خليج السويس) وبين مدينة منف (بالقرب من القاهرة الآن)، فرد المعلم متعجبًا

-ولماذا يا (سنو) فإن تلك المناطق الصحراوية لا يمكن زراعتها، فلماذا نقوم بتوصيل المياه إليها؟

-لم أقصد ذلك، ولكني أقصد أن نحفر قناة تصل بين البحر الشرقي والنيل

فقال المعلم وقد ازداد تعجبًا

-وما الفائدة من كل ذلك العمل الشاق؟

-أعتقد أنه بتلك الطريقة ستتمكن السفن من العبور من البحر الشرقي إلى نهر النيل مباشرة، دون الحاجة إلى حملها كل تلك المسافة

فكر المعلم قليلًا قبل أن يقول

-فكرة عظيمة، ولكنها مستحيلة

قالها المعلم وهو يبتسم استخفافًا بالطفل الذي رد قائلًا

-لماذا يامعلم؟

-أخبرتكم من قبل أن ماء البحر مالح أما ماء النهر فهو عذب، لذا فلن يمكننا أن نصل بينهما أبدًا

قالها المعلم وقد ظن أنه بتلك الكلمات قد أسكت الطفل الذي بدا مزعجا بسبب كثرة أسئلته، ثم قال

-وبذلك نكون قد انتهينا، تفضلوا

قبل أن يتحرك أحد من مكانه قام (سنو) برفع يده مرة أخرى، فنظر له المعلم وقد بدأ يشعر بالضيق وقال

-ماذا تريد ثانية يا (سنو)؟

-ألم تخبرنا من قبل يامعلم أن نهر النيل يسير من الجنوب متجهًا نحو الشمال ليصل إلى البحر الشمالي (البحر المتوسط)

زفر المعلم زفرة قوية ثم رد

-نعم

فأكمل (سنو) متلهفًا

-إذا، فإذا كان النيل يتصل بالبحر الشمالي، فلماذا لا نجعله أيضًا يتصل بالبحر الشرقي

رد المعلم وقد بدأ الغضب يكسو ملامح وجهه

-تلك الأمور لا يفهمها أمثالك من الصغار

ثم انتبه المعلم لنبرة صوته -العالية- وتذكر أنه يخاطب ابن الفرعون وولي عهده. فأعاد الهدوء إلى وجهه وصوته مرة اخرى ووضع يده على كتف الصغير وهو يقول بإبتسامة مصتنعة

-إنه أمر يصعب تحقيقه في الوقت الحاضر، ولكن يمكن لمولاي الصغير- يقصد سنو- أن يفعل المعجزات بعد أن يكبر ويصبح ملكا على البلاد

ثم انتهت الجلسة وذهب الجميع وظل (سنو) في مكانه صامتا، ثم تكررت كلمات المعلم في ذهنه مرة أخرى على الرغم من أنه كان يعلم أنها تحمل بداخلها السخرية، إلا أنها راقت له وظل يرددها في ذهنه مرات ومرات

((إنه أمر يصعب تحقيقه في الوقت الحاضر

ولكن يمكن لمولاي الصغير أن يفعل المعجزات

بعد أن يكبر ويصبح ملكًا علي البلاد))

*****

## بعد أعوام كثيرة

وقف (سنو) والسعادة والفخر يكسوان ملامح وجهه وسط حشد كبير من كبار رجال الدولة في إحتفال ضخم أعد خصيصًا لذلك اليوم المرتقب.

أخذ يتأمل عبور أول سفينة في قناته الجديدة قبل أن يأتي أحد مستشاريه من وراء ظهره و يقول

-هنيئًا لك يامولاي ذلك العمل الخالد..

قناة سيزوستريس.

قناة الملك (سنوسرت الثالث).

(تمت)

# نبذة تاريخية

-تحدثنا النصوص المصرية القديمة عن تقدم (سنوسرت الثالث) إلى مسافة ٣٧ ميل جنوب وادي حلفا، وهو الحد الذي لم يصل إليه ملك من قبل، وأقام نصبًا تذكاريا في سمنة.

-شيد قلعة هناك نقش عليها نصا يقول: ((الحدود الجنوبية التي وصل إليها جلالة ملك مصر العليا والسفلى خع- كاو- رع (سنوسرت الثالث) ليمنع أي زنجي من تخطيها برًا وبحرًا إلا لغرض التجارة، لن يسمح لأي سفينة من سفن الزنوج أن تتجه صوب الشمال))

-كما أرسل (سنوسرت الثالث) حملة صوب فلسطين.

-لم يكن (سنوسرت الثالث) يقصد بهذه الحملات إحتلال الجنوب أو فلسطين، وإنما كان يريد تأمين الحدود وإشعار حكام هذه المناطق بقوة مصر

-وأما على المستوى الداخلي فقد حقق قدر أكبر من النجاح يتمثل في استرجاع الملك لكافة سلطاته وتجريد حكام الأقاليم من كل ما حصلوا

عليه من مزايا أثناء فترات ضعف الملوك، ليصبحوا منذ عهد (سنوسرت الثالث) مجرد موظفين خاضعين للحكومة المركزية في العاصمة.

-كما قام (سنوسرت الثالث) بواحدة من أعظم أعماله، وهي حفر (قناة سيزوستريس) والتي تعتبر أول قناة يحفرها الإنسان تربط بين بحرين (البحر الأحمر والبحر المتوسط) عن طريق نهر النيل، وقد أدت هذه القناة إلى الربط بين أجزاء العالم القديم بوجه عام، وزيادة التبادل التجاري بين مصر وبلاد بونت (الصومال) وبلاد فينيقيا (سوريا ولبنان) بوجه خاص.

-وقد بذل (سنوسرت الثالث) مجهودا كبيرا لتوطيد أركان عرشه ليتسلمه إبنه (أمنمحات الثالث) من بعده قويا ثابتا

-عمل (أمنمحات الثالث) على زيادة أعمال التعدين في صحراوات مصر. فأرسل البعثات إلى سيناء لإستخراج الفيروز والنحاس. وإلى وادي الحمامات لجلب الأحجار.

-إهتم (أمنمحات الثالث) بأمر تنظيم مياه النيل حتى لا تضيع هباءًا إذا ما جاء الفيضان عاليًا، وحتى لا تنهار البلاد إذا ما جاء الفيضان منخفضًا، ولهذا أمر بتسجيل إرتفاع النهر عند قلعتي سمنة وقمنة، ولا تزال مستويات إرتفاع النهر في أعوام معينة مسجلة.

-ونجد أن أهم أعمال (أمنمحات الثالث) كان ذلك العمل الهندسي الذي أقامه في الفيوم، والذي كان يهدف منه إلى استصلاح جزء كبير من أراضي هذه المنطقة.

-وقد رأى مهندسو (أمنمحات الثالث) الإستفادة من مياه النيل الزائدة بتخزينها في منخفض الفيوم لإستعمالها عند الحاجة. وقد تطلب ذلك إقامة سد كبير عند مدخل الفيوم تضمن عدة فتحات لتصريف المخزون من المياه.

-وكان ل (أمنمحات الثالث) نشاط معماري ضخم تمثل في إقامة العديد من المعابد. والتي أهمها وأشهرها على الإطلاق هو ذلك المعبد الذي شيده في هوارة، والذي عرف بإسم (اللابرنت)، والذي كتب عنه اليونان والرومان كثيرًا.

-لقد دهش المؤرخ (هيرودوت) عندما رأى هذا الأثر الضخم وهو الذي سماه (اللابرنت)، وقد قال في وصف هذا المعبد (( لقد وجدت أنه أكبر مما يوصف، وأن ما شيده اليونانيون أقل من ناحية الحجم والنفقات من اللابرنت الذي يفوق الأهرامات نفسها))

-وتعرض بالوصف لنفس المعبد المؤرخ (استرابون) الذي ذكر أنه كان مكون من عدة قصور يبلغ عددها مقدار عدد الأقاليم المصرية القديمة،

وكان يضم حجرات كثيرة، ولذلك لم يكن المرء ليستطيع التجول داخل المعبد دون مرشد معه، وينتهي البناء بهرم كان يضم رفات الملك (أمنمحات الثالث).

-وقد أطلق العرب على هذا المعبد إسم (قصر التيه) أي الذي يضل فيه الزائر الطريق لكثرة دهاليزه وحجراته.

-مات (أمنمحات الثالث) بعد أن حكم مصر ٤٥ عامًا إزدهر فيها العمران ونعمت البلاد خلالها بالأمن والإستقرار.

# الفصل العاشر- (التحرير)

كان هناك قوم يعيشون في الشرق (أواسط آسيا)، وكان رجالهم ملتحين وشعر رؤوسهم غزير أسود اللون وكانوا يرتدون ملابس مزخرفة بأهداب (شرابيب)، وكان بعضهم ينتعل نعلًا والبعض الآخر يمشي حافيًا، وكانوا دائمًا يحملون الأقواس والسهام.

أما نسائهم فكن يلبسن أثوابا مزخرفة أيضًا تغطي أحد الكتفين وتترك الثاني عاريًا، وكن ينتعلن أحذية حمراء ويضعون فوق رؤوسهن غطاء رأس مثبت بحبل فوق الرأس يشبه الكوفية أو العقال.

كانوا يعتمدون على أسلوب مختلف في الحرب واستخدموا أسلحة جديدة لم تكن معروفة في مصر في ذلك الوقت أهمها العجلات الحربية، وهي عربات تجرها الخيول يستطيع الجنود أن يقفوا بها ويحملون معهم العديد من الأسلحة، وقد أطلق المصريون على تلك العربات اسم (مركوبتي) أي مركبة .

وفي غفلة من الزمان إستطاع هؤلاء أن يحتلوا مصر بفضل عجلاتهم

الحربية إلى جانب حالة الضعف التي مرت بها البلاد بعد وفاة آخر ملوك الدولة الوسطى الأقوياء (أمنمحات الثالث) ابن (سنوسرت الثالث).

وكان هؤلاء لا ينتمون لشعب واحد، كما لا يضمهم إطار حضاري معين، إنما هم مجموعة من القبائل المتفرقة جمع بينهما هدف واحد وهو الإستيلاء على أراضي وخيرات الشعوب لضمان حياة أفضل.

وقد أطلق المصريون عليهم إسم (حقاو- خاسوت) أي الحكام الأجانب والتي حرفت فيما بعد لتصبح (الهكسوس)، وقد كرههم المصريون لدرجة أنهم أطلقوا عليهم أيضًا إسم (الملوك الرعاة)، وذلك لأنهم أساءوا معاملة المصريين، وذبحوا بعضهم وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا بمثابة إماء وعبيد لهم. وأحرقوا المدن بغير رحمة، وهدموا معابد الآلهة، وقد أسسوا عاصمة جديدة للبلاد سميت (أواريس) شرق الدلتا وكانت مركزا لهم.

وهؤلاء الهكسوس لم يندمجوا مع المصريين إلا في أضيق الحدود، وكان ذلك بسبب عدم التوافق بينهم، فهم كغزاة أقل حضارة ومدنية من الشعب الذي إحتلوا أرضه، بالإضافة إلى أن الهكسوس قد عزلوا أنفسهم أو عزلهم المصريون في منطقة شرق الدلتا، مما أدى إلى عدم قيام معاملات بينهم وبين أقاليم الصعيد.

عقـد (أبوفيـس) حاكـم الهكسـوس في قـصره بالعاصمـة أواريـس إجتماعًـا ضخمًـا ضـم قيـادات جيشـه وكبـار رجـال دولتـه يتدارسـون فيمـا بينهـم مـا وصلـت إليـه أحـوال البـلاد وفي أثنـاء الإجتمـاع قـال

-كيف حال الجنوب؟

رد (باناس) الذي كان أحد قادة الجيش

-أشـعر بالقلق من ناحية حكام بيت طيبة (الأقصر) يامولاي

-لماذا يا (باناس)؟

قالها (أبوفيس) متعجبًا قول الرجل الذي رد

-إنهم يعتبرون أنفسهم حكامًا مستقلين في أقاليمهم

تعجب (أبوفيس) مما قاله الرجل ثم إلتفت إلى مدير الإدارة المالية وسأله

-هل يدفعون الجزية يا (نحمن)؟

رد (نحمن) سريعًا على سيده

-نعم يامولاي، ولم يحدث أن تأخروا يومًا عن دفعها

اطمئن (أبوفيس) ثم قال وهو يعيد نظره مرة أخرى إلى (باناس)

-اطمئن يارجل، هؤلاء المصريين لن تقوم لهم قومة مرة أخرى

ثم أكمل في سخرية وهو ينظر للجميع

-لكنها عنجهية الفراعنة كما تعلمون

ضحك (أبوفيس) ثم ضحك جميع من في القاعة ماعدا (باناس) الذي سكت قليلًا ثم قال

-لكن يامولاي هم يرفضون معبوداتنا ومازالوا يعبدون آلهتهم المصرية القديمة. وفعلوا كما فعل ملوك مصر من قبلهم، فقد حملوا الألقاب التقليدية التي تدل على أنهم ملوكًا للوجهين القبلي والبحري

بدأ القلق يكسو ملامح وجه (أبوفيس)، ثم ألقى (باناس) بكلماته الأخيرة التي سقطت كالصاعقة على آذان الحاضرين

-أخشى أن تزداد شوكتهم، فكما تعلم يامولاي، فإن قواتنا العسكرية ليس لها أي وجود في تلك المنطقة

إنتفض (أبوفيس) واقفًا بعد سماعه تلك الكلمات وقال بغلظة

-إذن، فسنلقنهم درسًا لن ينسوه، وليعلم هؤلاء العبيد من هم سادة البلاد

*****

إجتمع حكام الأقاليم الجنوبية ليتدبروا أمرهم بعد أن جاءهم رسول (أبوفيس) برسالة تهديد ووعيد تحمل بداخلها إنذار شديد اللهجة إلى (سقنن رع) حاكم إقليم طيبة والتي نصت على

((عليك أن تسكت أصوات أفراس النهر التي تضرخ على الدوام في مياه طيبة، والتي تقلق منامنا في أواريس، ولتعلم أنك لن تسجد بعد اليوم إلا للإله سوتخ*))

-ذلك المحتل اللعين يتطاول على أصحاب البلاد

قالها (سقنن رع) بمرارة وهو يمسك الرسالة في يده قبل أن يسأل الحاضرين

-ما قولكم؟

أخذ الحاضرين ينظرون إلى بعضهم البعض قبل أن يقول أحدهم

-فلنأمن شرهم

إلتفت (سقنن رع) إلى الرجل وقال وهو يضغط على أسنانه

-ماذا تقصد؟

إقشعر الرجل وهو ينظر إلى (سقنن رع) الذي إقترب من وجهه وهو يكرر

---

((*سوتخ: هو إله الهكسوس وهو صورة أخرى من (ست) إله المصريين))

في غلظة

-ماذا تقصد يارجل؟

لم يستطيع الرجل أن ينظر إلى عين (سقنن رع) وهو يقول

-لا طاقة لنا بهؤلاء الغزاة السفاحون

ثم إبتلع ريقه قبل أن يكمل

-فلننفذ ماجاء في الرسالة من تعليمات، ونرحم أنفسنا من عناء لا طائل منه

صمت (سقنن رع) للحظات وهو ينظر إلى عين الرجل، ثم أدار ظهره له وإلتفت للحاضرين وقال في هدوء أقلقهم جميعًا

-وأنتم ماقولكم؟

سكت الجميع وهم ينظرون لبعضهم البعض دون أن يتفوه أحدهم بكلمة

ثم.

إنفجر (سقنن رع) غاضبًا وهو يقول

-ماهذا الخزي الذي أراه على وجوهكم؟ ماذا جرى لكم؟ فها قد سنحت

لنا الفرصة لنعيد الأمجاد، ونحرر البلاد ممن إغتصبوا خيراتها

ظل الجميع صامتا مما زاد استفزاز (سقنن رع) الذي أخذ يقطع الرسالة بيديه وهو يصرخ

-لن أعبد (سوتخ) هذا الذي لا أعلم عنه شيء ولن أعبد سوى (أمون رع)، ولن أسمح لهؤلاء الرعاة أن يملون شروطهم عليّ، وسأحاربهم، بل وسأقضي عليهم.

ثم إزداد صراخه وهو يقول

-وسأعيش رجلًا أو أموت شرفًا

أشعلت كلمات (سقنن رع) نار النخوة فإزداد لهيبها في قلوب الحاضرين الذين صرخوا جميعًا وهم يرددون كلماته في قوة إهتزت لها أرض القاعة

((أعيش رجلًا، أو أموت شرفًا))

((أعيش رجلًا، أو أموت شرفًا))

*****

في الصحراء وبالقرب من منطقة الأشمونين (ملوي- المنيا) تراصت قوات الهكسوس يتوسطها (أبوفيس) الذي كان يجلس على عرشه المحمول على أكتاف العبيد وهو يقول ساخرًا

-ألم أخبركم أننا في حملة تأديبية فقط وليست حرب بالمعنى الحقيقي

ثم ضحك وهو يقول

-يظن (سقنن رع) هذا أنه يستطيع أن يهزمنا بذلك الجيش الضعيف

ثم وقف وهو يشير بإصبعه نحو القوات المصرية وهو يقول بحزم

-قطعوا جسده إلى أشلاء، واجعلوه عبرة لكل من تخيل له نفسه أن يتجرأ على أسياد البلاد

في نفس اللحظة وعلى الجانب الآخر، تراصت القوات المصرية في انتظام يدعو للفخر، على الرغم من قلة عددهم نسبة إلى جيش الهكسوس، لكن هذا أقصى ما إستطاع أن يجمعه (سقنن رع) الذي كان واقفًا في مقدمة الجيش، وألقى خطبته الرنانة التي ألهبت قلوب جنوده، ثم أنهى كلامه وهو يقول

-نحن أقل منهم عددًا، ولكننا أشد منهم بأسًا، وأكثر تماسكًا وإيماننا بعقيدتنا، فجميعنا على قلب رجل واحد

ثم أدار ظهره للجنود وجرى ناحية جيش الأعداء وهو يصرخ قائلًا

-سأعيش رجلًا، أو أموت شرفًا

إعتبرها الجنود إشارة لبدء المعركة، فجروا جميعًا وراء (سقنن رع)، فإضطر

(أبوفيس) أن يعطي اشارة الهجوم إلى جنوده الذين جروا بدورهم نحو (سقنن رع) ورجاله، فإلتحم الجيشين..

و..

بدأت المعركة.

*****

كانت تقف (إياح حتب) وابنيها أمام فراش زوجها (سقنن رع) الذي كان راقدًا متأثرًا بجراحه بعد أن أصيب بجرح في صدره وآخر في الرأس، وكان ذلك بعد أن هرب (أبوفيس) وما تبقى معه من جنود إلى عاصمته أواريس بعد الهزيمة الساحقة التي تلقاها على أيدي المصريين.

-الآن جاء دورك يا (كامس)

قالها (سقنن رع) بصوت مبحوح متقطع قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ثم قبّل (كامس) رأس والده الذي أصبح جثة هامدة وهو يقول في أسى

-أرقد في سلام يا أبي، فقد عشت رجلًا، ومت شرفًا

ثم إلتفت إلى أمه التي انفجرت من البكاء وأخيه الذي حاول جاهدًا أن يخفي دمعة فرت من عينه، وإحتضنهما بشدة وهو يقول

-لن يذهب دمك هباءًا يا أبي.

*****

انتشرت سريعًا أنباء هزيمة الهكسوس علي يد (سقنن رع) في جميع أنحاء البلاد. ورفع ذلك من شأن حكام طيبة ومن شأن (كامس) الذي أصبح حاكمًا خلفًا لوالده. والذي أخذت شعبيته تزداد يومًا بعد يوم فتجمع وراءه الصعيد بأكمله، كما كان يتلقى رسائل في الخفاء من المصريين في الشمال يحثونه على مواصلة الكفاح ضد الغزاة، ويعدونه فيها بتقديم المساعدة والعون.

في تلك الأثناء كان (كامس) مجتمعًا مع كبار أقاليم الصعيد ليعرض عليهم خطته للمرحلة الثانية من حرب التحرير، وفي نهاية الإجتماع قال (كامس) بحماس شديد

-وبذلك نكون جاهزين للهجوم، ولتباركنا الآلهه

رد أحد الحاضرين

-لكن يا سمو الأمير، علينا أن نتمهل قليلًا

إلتفت الجميع إلى الرجل الذي أكمل

-الهكسوس قوة لايستهان بها، وإذا كنا قد انتصرنا في المعركة السابقة، فقد حالفنا الحظ وساعدنا عنصر المفاجأة، أما الآن، فالهكسوس لن يقبلوا الهزيمة مرة ثانية

فقال (كامس) في حدة

-ونحن أيضًا لن نقبل الهزيمة يارجل

قال الرجل محاولًا تهدئه (كامس) الذي بدأ الغضب يكسو ملامح وجهه

-ياسمو الأمير، لقد أصبحنا أحرارًا واتسعت مساحة نفوذنا، ولم نعد ندفع الجزية. فلنكتفي بذلك ونشكر الآلهة على ماوصلنا اليه

رد (كامس) وهو يعقد حاجبيه

-لن تقبل الآلهه الشكر والحمد من المتخاذلين

ثم أدار نظره بين الحاضرين وهو يقول

-وهل تظنون أن الهكسوس سيبتلعون هزيمتهم السابقة دون رد

--لكن، يا سمو الأمير..

-كفى

قاطع (كامس) الرجل بحزم شديد ثم أكمل وقد بدأ صوته يرتفع

-لن أقف مكتوف الأيدي، فهناك في أواريس يحكم ملك أجنبي يحاصرني من الشمال، وهناك في كوش (بالسودان) يحكم ملك آخر، بينما أجلس أنا بينهما هنا في طيبة وكلًا منهما يقتسم مصر معي.

ثم أكمل وقد إحمر وجهه وكادت عروقه أن تخرج من رقبته وهو يقول

-سأكمل الحرب وأقاتل الهكسوس حتى يقسم كل المصريين بإسمي وهم يقولون ها هو (كامس) محرر مصر، ولينعم (سقنن رع) في مقبرته

أيّد الحاضرون رأي قائدهم (كامس)

وبذلك..

انتهى الاجتماع.

*****

إلتحـم الجيشـين مـرة أخـرى في معركـة كانـت أقـوى وأشرس مـن المعركـة السـابقة. فقـد كان جيـش (كامـس) أكـثر عـددًا وعـدة مـن جيـش أبيـه، فضـلًا عـن المسـاعدات الـتي تلقاهـا مـن المصريـين في الشـمال

في أثنـاء المعركـة كان (كامـس) يقاتـل بشـدة، وقـد قتـل وحـده عـددًا كبـيرًا مـن الرجـال. وكان كلمـا أصيـب بضربـة، يتذكـر وجـه أبيـه الشـاحب وهـو يقـول

((الآن جاء دورك يا كامس))

فيعلـو صراخـه ويـزأر كالأسـد في وسـط المعركـة، وكان جنـوده ينظـرون إليـه فتلهبهـم الحماسـة مـن ذلـك القائـد الـذي لطخـت الدمـاء وجهـه وجسـده وهـو مـازال يقاتـل بشراسـة.

ثم..

جـن جنـون المصريـين وأخـذوا يفتكـون بأعدائهـم، ويقطعـون أشـلائهم الـتي كانـت تتطايـر في الهـواء، وأحـرزوا انتصـارًا عظيمًـا عليهـم.

حـدث ذلـك بعـد أن رأوا قائدهـم (كامـس) -وقـد إزدادت عليـه الطعنـات- يسـقط أرضًـا

و...

إمتلئت الأرض بالدماء.

*****

كان شابًا قويًا حاد الملامح، لكنه هادئ الطباع. يميل إلى التريث وعدم إستعجال الأمور، وكان يفكر ألف مرة قبل أن يتخذ قراراته، وذات يوم كان واقفًا أمام قبر أخيه (كامس) الذي دفن بجوار أبيه، وهو يفكر في هدوء وفجاة..

سمع صوت من وراء ظهره يعرفه جيدًا يقول في سخرية لا تخلو من المرارة

-لم يتبقى لي سواك، أنت أملي وأمل هذه البلاد

التفت الشاب إلي مصدر الصوت ليجد أمه (إياح حتب)، فلم ينطق بكلمة، ثم أكملت الأم مستنكرة

-لكني أراك متخاذلًا يا ابن (سقنن رع)

رد الشاب في هدوء

-ليس تخاذلًا ياأمي، لكنها الحكمة

-أي حكمة هذه التي تتحدث عنها؟ فالوقت يمر، وأنت مازلت مكانك لا تفعل شيء

-الأيام القادمة ليست هينة يا أمي، وتحتاج إلى تفكير عميق وتخطيط جيد

ردت الأم وهي تضغط على أسنانها

-هدوءك هذا لن ينفعنا في شيء

تنهد الشاب تنهيدة قوية، ولم يرد على أمه التي قالت وهي تشير لبطنها

-لا أعرف كيف لتلك البطن التي حملت (كامس) أن تحمل شابًا متخاذلًا مثلك

إحمر وجه الشاب غضبًا وإتسعت عيناه وهو يسمع تلك الكلمات، لكنه إبتلع إهانة الأم، ثم رد عليها وهو يحاول أن يحافظ على هدوءه

-كفاك يا أمي

صرخت الأم في وجهه وهي تقول

-كفاك أنت، فأبيك وأخيك لم يحققا انتصاراتهما العظيمة بذلك الهدوء ا للعين

رد عليها في غضب حاول إخفاءه

-ما حدث كان شيئًا، وما سيحدث شيئًا آخر ياأمي

قالت الأم مستهزءة وهي مازالت تصرخ

-أخبرني يا حكيم

وهنا انفجر الشاب صارخًا في وجه أمه وهو يقول

-فاجأ أبي الهكسوس، فلم يكونوا مستعدين له، كما فاجأهم أيضًا (كامس) لأنهم ظنوا أننا لن تقوم لنا قومة ثانية بعد وفاة (سقنن رع)، أما الآن فهم يعلمون جيدًا أننا نخطط لاستكمال الحرب، لذلك فهم يعدون عدتهم لإستقبالنا بجحافل لم نرى مثلها من قبل

ثم أخذ نفسًا عميقًا وحاول أن يعود لهدوءه وهو يقول

-المعارك السابقة ياأمي كانت على أرضنا في الجنوب، وقد ساعدنا الجو الحار الذي اعتدنا عليه لننتصر على هؤلاء الذين لا طاقة لهم بشمسنا الحارقة، أما المعركة القادمة فستكون على أرضهم في الشمال

قاطعته الأم وقد بدأت تقتنع بكلامه

-الشمال ليس أرضهم، الشمال أرضك وأرض أجدادك

-لم أقصد أنها أرضهم ياأمي، ولكني أقصد أنهم يعيشون عليها منذ عقود طويلة. ونحن نجهلها تمامًا ولا نعلم ما ينتظرنا هناك من مفاجآت، فالهكسوس لن يستسلموا هذه المرة بسهولة، بل سيدافعون عن آخر معاقلهم حتى آخر قطرة دماء، وقد رأيتي بنفسك رسول الهكسوس الذي أسرناه عند طريق الواحات وهو يتجه للجنوب صوب (كوش) يحمل

رسـالة تحريـض لأميرهـا ضدنـا في مقابـل إقتسـام الأرض والغنائـم

بـدأت الأم تشـعر أن قدميهـا لا تقـدران عـلى حملهـا. فجلسـت عـلى الأرض -بـين قـبري زوجهـا وابنهـا- وقـد بـدأ العـرق يسـيل عـلى جبهتهـا، فذهـب إليها الشـاب وجلـس عـلى ركبتيـه أمامهـا، ثـم أمسـك بيديهـا في رقـة وهـو يقـول

-أعلـم مـا بداخلـك ياأمـي، ولكـن صدقيـني يجـب أن نسـتعد جيـدًا، فانتصارنـا هـذه المـرة سـيتوج جميـع الإنتصـارات السـابقة، وأمـا إذا انهزمنـا

صمت قليلًا ثم أكمل

-ستضيع جهود أبي وأخي هباءًا منثورًا

بـدأت الأم تشـعر بالخجـل مـن قسـوتها على ابنهـا في بدايـه الحديـث، ونظرت إليـه في إعجـاب وفخـر شـديدين، وتحسسـت بيدهـا ملامـح وجهه وهـي تقول

-فلتحفظك الآلهة يا (أحمس)

مسـح (أحمـس) الدمعـة الـتي فـرت مـن عـين أمـه وقبّـل رأسـها ثـم إحتضنهـا وهـو يقـول

-فلتحفظنا الآلهة ياأمي

(تمت)

# نبذة تاريخية

-الهكسوس هم قوم أتوا من جهة الشرق، من أواسط أسيا على الأرجح ولا ينتمون لشعب واحد، ولا يضمهم إطار حضاري واحد، وإنما هم مجموعة من القبائل المتفرقة جمع بينها هدف واحد وهو الإستيلاء على المزيد من الأراضي لضمان حياة أفضل.

-وإذا أردنا أن نحدد الجنس الذي ينتمي إليه الهكسوس فبعض الباحثين يروا أنهم ينتمون للجنس السامي ويستدل على ذلك من بعض أسماء الأعلام التي كانت منتشرة بينهم مثل (يعقوب ونحمن وعبد وباناس)، وأيضًا من أسماء بعض الآلهة التي عبدوها مثل (عشترت وبعل) وهي آلهه سامية.

-إلا أنهم حملوا بعض الأسماء التي تشير إلى الجنس الهند وأوروبي، ويرى البعض أنهم من أصل آري.

-وقد حاول البعض الآخر أن يربط بينهم وبين اليهود. وجعلوا من فلسطين موطنهم الأصلي، ودعموا وجهه نظرهم هذه بهروب الهكسوس بعد انتصار المصريين عليهم في إتجاه فلسطين حين حوصروا في بلدة

شاروهين جنوبي غزة وأيضًا باختيارهم عاصمتهم أواريس في أطراف مصر من ناحية الشرق في مواجهة فلسطين، غير أن هذا الرأي الأخير ليس له مايؤيده تاريخيًا أو أثريًا.

-وقد حاول بعض الباحثين الربط بينهم وبين قدوم سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مصر، ولكن ليس هناك من الأدلة ما يؤيد ذلك أيضًا.

-وبالتدقيق في الأصل اللغوي لكلمة (هكسوس) فإننا نعتقد بأنها ليست آرية أو سامية، وإنما حرفت من الكلمة المصرية القديمة وهي (حقاو خاسوت) أي حكام البلاد الأجانب.

-وفيما يتعلق بالتاريخ الذي سجله المؤرخ (مانيتون) فقد فقدت النسخة الأصلية في حريق مكتبة الأسكندرية، ولم يتبق لنا سوى ما احتفظ به المؤرخ اليهودي (يوسيفيوس)

-لذلك يجب أن نتحرى الدقة عند الإعتماد على مصادر كتابة التاريخ المصري. وعدم الأخذ بكل ما جاء بها، واضعين في الإعتبار أسلوب المبالغة الذي قد يتبعه بعض المؤرخين أو الملوك خاصة عند تسجيل الأعمال الهامة.

-وإذا أخذنا في الإعتبار ما كتبه (مانيتون) واحتفظ به (يوسيفيوس) فإننا نجد أنه خصص لفترة حكم الهكسوس حوالي تسعة قرون، وبالتدقيق

في ذلك نجد أنه غير صحيح وبه مبالغة شديدة، فالفترة ما بين نهاية الدولة الوسطى وبداية الدولة الحديثة لا تزيد إلا قليلا عن المائتي عام، وهي الفترة التي تضمنت الأسرتين (١٣-١٤) ثم الأسرات الهكسوسية الثلاث (١٥:١٧)، وبذلك نجد أن مدة إحتلال الهكسوس لمصر حوالي مائة عام تقريبًا

-استطاع هؤلاء الهكسوس أن يحتلوا مصر مستغلين حالة الضعف التي مرت بها البلاد في أثناء (عصر الانتقال الثاني)، وقد أساءوا معاملة المصريين، وكانوا يخربون القرى والمعابد.

-وتشير الوثائق إلى أن أحد حكام مدينة طيبة (سقنن رع) حاول بعد أن شعر بأن الهكسوس تركوا مصر العليا (صعيد مصر) بعد أن ضمنوا ورود الجزية منهم إلى منف أو أواريس حيث يقيم حاكم الهكسوس أو من ينوب عنه، بدأ حاكم طيبة هذا يجمع من حوله بعض الأعوان ويقنع حكام الأقاليم إبتداء من منطقة ملوى في الشمال إلى أسوان في الجنوب بالتعاون من أجل تحقيق المصلحة العليا للبلاد والتي تتمثل في محاربة الهكسوس وطردهم خارج البلاد.

-وبذلك بدأت المرحلة الأولى من حرب التحرير، وإذا كنا لم نعثر على وثائق تتحدث عن مدى كفاح (سقنن رع) ضد الهكسوس، إلا أن مومياؤه

المحفوظة الآن بغرفة المومياوات بالمتحف المصري، والتي نرى فيها أكثر من جرح في الرأس والصدر، تعتبر أكبر دليل على الدور البطولي الذي قام به، تلك الجروح التي أودت بحياته في إحدى المعارك التي خاضها ضد الهكسوس.

-تسلم الراية من بعده إبنه الأكبر (كامس) الذي استطاع أن يحقق إنتصارات عظيمة على الهكسوس، ويبدو أن (كامس) قد سقط في إحدى المعارك ليتسلم من بعده راية الكفاح أخيه الأصغر(أحمس)

-هاجم (أحمس) مدينة منف المحصنة، وأخرج الأعداء منها، ثم اتجه إلى (أواريس) عاصمة الهكسوس حيث حاصرها لفترة تقرب من الثلاث سنوات، مما يدل على قوة التحصين من ناحية، وعلى إصرار المصريين على إجلاء العدو من ناحية أخرى.

-نجح (أحمس) في طرد الهكسوس من آخر معاقلهم في مصر، ولم يكتفي بذلك. بل ظل يطاردهم إلى أن وصلوا إلى مدينة (شاروهين) في جنوب غزة، وإستمر يطاردهم في فلسطين وتوغل في مطارتهم حتى سوريا.

-وبتحرير البلاد من (الهكسوس) بدأت مرحلة زمانية وحضارية جديدة وهي (عصر الدولة الحديثة) (الأسرات ١٨:٢٠) والتي بدأت بالأسرة الثامنة عشر التي أسسها الملك (أحمس).

# الفصل الحادي عشر– (الملكة)

جلس على عرش مصر بعد (تحتمس الأول) أكبر أبنائه وهو (تحتمس الثاني). ولكي يصبح ملكًا شرعيًا تزوج من أخته (حتشبسوت)، لكن فترة حكم هذا الملك لم تدم طويلًا.

بعد وفاة (تحتمس الثاني) جاء من بعده ابنه (تحتمس الصغير) الذي كان لا يزال صغيرًا، فقامت بالوصاية عليه زوجة أبيه- وهي عمته في نفس الوقت- الملكة (حتشبسوت).

وفي يوم من الأيام كانت الملكة (حتشبسوت) تجلس في حديقة القصر تتأمل الزهور التي كانت تهتم بها دائمًا، مستغرقة في تفكير عميق وهي تنتظر مجيء (حابو سنب) كبير كهنة أمون رع و(سنمود) المهندس الشهير ورجل الإدارة. اللذان جاءا إليها بعد وقت قصير، ثم قال لها (سنمود)

-عمت صباحًا يا(مولاي)*

-عمتما صباحًا، تفضلا.

قالتها (حتشبسوت) ثم جلس أمامها الرجلان ثم قالت

-هل فكرتما في الأمر؟

كان (حابو سنب) يريد أن يقول شيئا لكن (سنمود) أوقفه ورد عليها

-نعم يا مولاي، فمن الآن وصاعدا سيتم تجريد (تحتمس الصغير) من جميع ألقابه. وسيحذف إسمه من كل الوثائق الملكية، وسيتم توثيق المراسلات بإسمك وحدك يامولاي.

-عظيم

قالتها (حتشبسوت) ثم إلتفتت إلي (حابو سنب) وقالت

-وأنت، ما رأيك؟

صمت (حابو سنب) قليلا وهو ينظر إلى (سنمود) ثم نظر إلى (حتشبسوت)

وقال في تردد

-يامولاتي، ليس الأمر هينًا إلى هذه الدرجة. فذلك الشعب (يقصد

---

((*كانت (حتشبسوت) تحاول أن تنسي الرجال أنها امرأة. فظهرت في هيئة الرجال. وكانت تشير لنفسها بضمير المذكر. وتحمل نفس ألقاب الرجال. وكانت تكره كونها ملكة مؤقتة وصية على عرش الصغير حتى يكبر))

المصريين) وإن وافق على أن تكوني ملكته المؤقتة، فإنه لن يقبل أن تحكمه امرأة إلى الأبد.

نظرت إليه (حتشبسوت) باستهانة كبيرة وقد إشمئزت من صيغة المؤنث التي خاطبها بها وهي تقول

-تلك المرأة التي تتحدث عنها قدمت لهذا الشعب ما لم يقدمه غيرها من الملوك الرجال

قال (سنمود) بعد أن إستشعر ضيق الملكة محاولا تهدئة روعها

-هون عليك يامولاي، فالجميع يعلم أفضالك على البلاد والعباد

ثم نظر إلى (حابو سنب) وهو يقول

-فإن (حابو سنب) لم يقصد شيئًا، بل هو من أخبرني بأننا سوف نوحي للشعب بأنك ابن الإله (أمون رع)، وأن الإله هو من إختارك لحكم البلاد، أليس كذلك يا(حابو سنب)؟

كان (حابو سنب) في قرارة نفسه يرفض كل ما قاله (سنمود). لكنه لم يستطع أن يعلن ذلك الرفض أمام نظرات (حتشبسوت) التي خرجت من عينيها كالسهام القاتلة، ثم رد مخاطبًا إياها

-حقًا، إنه كذلك ياااا، يا(مولاي)

إطمئنت (حتشبسوت) بعد أن سمعت (حابو سنب) وهو يقول ((يامولاي)) في صيغة المذكر دون ياء التأنيث، وعلمت أنها بذلك قد آلت إليها الأمور بعد أن يختفي الطفل (تحتمس الصغير) من الحياة السياسية تمامًا.

*****

بمرور الوقت أدرك الطفل (تحتمس الصغير) أنه أصبح مهمشا داخل القصر. وإستطاع أن يتعايش مع المعاملة السيئة التي كانت تعامله بها (حتشبسوت). وعلى الرغم من ذلك لم يكن يحمل لها أي كراهية، ولم ينس أبدًا أنه كان يظن يوما أنها أمه، وحتى بعد أن علم الحقيقة، ظل على حبه واحترامه لها.

وفي يوم ما، كان (تحتمس الصغير) يجلس في غرفته وحيدا. ثم دخل عليه (حابو سنب) وهو يقول مبتسمًا

-كيف حال الأمير الصغير؟

لم يكن أحد في القصر يدعوه بالأمير إلا (حابو سنب) الذي كان يتردد عليه كثيرًا. يلعب معه ويحكي له عن بطولات أبيه وأجداده، لذلك أحبه كثيرًا، وحل محل والده في قلبه وهون عليه وحدته في القصر.

-إني بخير

قالها الطفل وهو مهموم، فشعر (حابو سنب) بحزن شديد من نظرات الطفل، فتنهد وهو يمسح بيديه على رأسه وهو يقول

-أعلم مايدور بداخلك يا(تحتمس)، وأعلم أنك تحمل هما لا طاقة به لطفل صغير مثلك

نظر إليه الطفل وقد بدأت تدمع عيناه، فأمسكه (حابو سنب) من كتفيه وهو يقول في حزم محاولا إلهاءه

-الرجال لا يبكون، خاصة الملوك أمثالك

ثم إقترب من وجهه وقال في رقة

-في يوم ما، ستصبح سيد هذا القصر، وسيأتي الجميع سأجدين تحت قدميك

ثم أعاد الحزم إلي صوته مرة أخرى وهو يقول

-ولتعلم أن العرش عرشك، وعرش أبيك وجدك، ولتساعدنا الآلهه لإستعادة هذا العرش

إختفت ملامح الأسى من على وجه الطفل وحل محلها إبتسامة رقيقة،

فإبتسـم (حابـو سـنب) أيضًـا، وهـو يقـول

-أحب تلك الإبتسامة التي على وجهك يا سمو الأمير

ثم صمت قليلًا وقال

-أقصد يااااا، مولاي الملك

فـرح الطفـل لسـماع تلـك الكلمـات فقفـز عـلى (حابـو سـنب) الـذي حملـه بـين يديـه في سـعادة غمرتهمـا همـا الأثنـين.

ولكن....

لـم يكـن يعلـم (حابـو سـنب) أن الخـادم المكلـف برعايـة الطفـل -والـذي هـو في حقيقـة الأمـر مكلـف بمراقبتـه- كان واقفًـا عـلى بـاب الغرفـة.

وفجأة...

جرى هذا الخادم

ثم..

إلتمعـت عينـا (حتشبسـوت) بعـد أن سـمعت مـا قالـه الخـادم الـذي نقـل

لها كل الحوار الذي دار بين (حابو سنب) و (تحتمس الصغير) ثم قالت مخاطبة الخادم

-أخبر (سنمود) أني أريده على الفور

ثم قالت في قرارة نفسها

-طال لسانك، وحان وقتك يااا، (حابو سنب)

*****

# نبذة تاريخية

-كما ذكرنا من قبل فبتحرير البلاد من الهكسوس بدأت مرحلة زمانية وحضارية جديدة وهي عصر الدولة الحديثة (الأسرات ١٨:٢٠) والتي بدأت بالأسرة الثامنة عشر التي أسسها الملك (أحمس)

-إهتم ملوك هذا العصر اهتماما كبيرا بالجيش والتسلح وفنون القتال، بعد أن أدركوا أن بلادهم كانت مطمع للغزاة، لذلك سمي عصر الدولة الحديثة بإسم عصر المجد الحربي

-بعد وفاة الملك (أحمس) خلفه ابنه (أمنحتب الأول) الذي كان لا يزال شابًا صغير السن، فعاونته أمه (أحمس نفرتاري) على تصريف شئون البلاد.

-تُوفيَ (أمنحتب الأول) دون أن ينجب ابنًا يخلفه على العرش، وقد نتج عن هذا بعض المشاكل في البيت المالك، إلى أن تولى العرش الملك (تحتمس الأول)

-لا نعـرف عـلى وجـه التحديـد أصـل الملـك (تحتمـس الأول)، ولكـن يبـدو أنـه ينتمـي للبيـت المالـك، فهـو إمـا ابنًـا لإحـدى زوجـات (أمنحتـب الأول) الثانويـات، أو ابـن لأحـد أخوتـه أو أعمامـه.

-ولأن (تحتمـس الأول) لـم يكـن يتمتـع بالصفـة الشرعيـة للجلـوس عـلى العـرش، لذلـك تـزوج مـن سـيدة تجـري في عروقهـا الدمـاء الملكيـة، وكانـت تلقـب بالزوجـة الإلهيـة.

-توغـل هـذا الملـك في حـدود مـصر الجنوبيـة إلى أن وصـل إلى منطقـة (الجندل الخامـس)، ومنـذ ذلـك الوقـت إصطبغـت بـلاد النوبـة وشـمال السـودان بالصبغـة المصريـة.

-بعـد وفـاة (تحتمـس الأول) جلـس عـلى عـرش مـصر أكـبر أبنـاءه والمعـروف بإسـم (تحتمـس الثـاني)، ولـكي يصبـح ملـكًا شرعيًـا عـلى البـلاد تـزوج مـن أختـه (حتشبسوت)

-بعـد وفـاة (تحتمـس الثـاني) جـاء مـن بعـده ابنـه (تحتمـس الثالـث) الـذي كان لايـزال صغـيرًا، فقامـت بالوصايـة عليـه زوجـة أبيـه وعمتـه في نفـس الوقـت الملكـة (حتشبسـوت)

-بعد حوالي عامين لقبت (حتشبسوت) نفسها بالألقاب الملكية، وأبعدت (تحتمس الثالث) عن العرش، وعاونها على ذلك كبار رجال الدولة.

-كانت (حتشبسوت) امرأة قوية تمكنت من الحكم، وقد نعمت في عهدها البلاد بالأمن و الاستقرار، وقامت ببناء معبدها الشهير بالدير البحري، بالإضافة إلى المسلتان اللتان أقامتهما في الكرنك. ولا تزال إحداهما باقية فيه تحكي بعضًا من تاريخ هذه الملكة.

-إهتمت حتشبسوت بالتجارة الخارجية، وليس أدل على ذلك من المناظر الهامة على جدران معبد الدير البحري التي تظهر الرحلة البحرية الشهيرة التي أرسلتها إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) لجلب بعض المنتجات ودراسة أحوال هذه البلاد.

-ونجد أن (حتشبسوت) واحدة من قليلات من السيدات في العالم القديم الآئي وصلن إلى قمة الإدارة في بلادهن، وقد بذلت جهدًا كبيرًا لتقنع الرجال في عهدها بأن يقبلونها كامرأة تحكمهم.

-وقد كانت ملكة عظيمة بحق. وفعلت ما لم يفعله بعض الملوك من الرجال، إلا أنه يؤخذ عليها تلك المعاملة السيئة التي عاملت بها (تحتمس الثالث)، الذي كان أحق منها بعرش البلاد، والذي نجحت في أن تضعه في الظل طوال مدة حكمها.

-ولسنا نعرف الكثير عن الفترة الأخيرة من حكم (حتشبسوت) ولا نعرف كيف انتهت حياتها، وعما إذا كانت قد ماتت ميتة طبيعية، أم أنها قتلت على يد (تحتمس الثالث) أو بإيعاز منه، ويبدو أنها ماتت ميتة غير طبيعية لأنه لم يعثر على مومياء لها في مقبرتها في وادي الملوك.

*****

# الفصل الثاني عشر- (العظيم)

وقـف (تحتمـس الصغـير) أمـام نافـذة غرفتـه يترقـب مـن مسـافة بعيـدة (حتشبسـوت) الـتي اصتنعـت ملامـح الحـزن والأسى، وحولهـا (سـنمود) وعـدد مـن كبـار رجـال الدولـة وكبـار الكهنـة في موكـب جنائـزي ضخـم أمـام معبـد أمـون رع.

كاد بـاب النافـذة أن يتحطـم بعـد أن دفعـه (تحتمـس الصغـير) بقـوة، ثـم جلـس عـلى أرض الغرفـة وقـد احتضـن ركبتيـه بـين ذراعيـه وهـو منخرطًـا في البـكاء، فلـم يسـتطع أن يسـيطر عـلى نفسـه بعـد أن رأى تشـيع الجثمـان.

وكان صاحب هذا الجثمان..

هو..

(حابو سنب).

*****

## بعد عدة سنوات

كانـت (حتشبسـوت) في كل ليلـة بعـد أن تدخـل غرفتهـا وحيـدة، تخلـع الـزي الملـكي وترتـدي الملابـس القصـيرة، وتتزيـن أمـام المـرآة وهـي تتأمـل مفاتـن جسـدها، كان ذلـك الوقـت المتأخـر مـن الليـل هـو الوقـت الوحيـد الـذي تشـعر فيـه بأنهـا مازالـت أنـثى، بعـد أن ظلـت طيلـة اليـوم تتشـبه بالرجـال وتحمـل ألقابهـم.

وفي إحـدى الليـالي كانـت جالسـة كعادتهـا أمـام المـرآة، تغمـض عينيهـا لتضـع عـلى جفنيهـا الكحـل الأسـود الـذي أحبتـه منـذ أن كانـت فتـاة مراهقـة.

ثم...

فتحت عينيها .

وفجاة...

ظهـر في المـرآة انعـكاس لصـورة (تحتمـس الصغـير) -الـذي لـم يعـد صغـيرًا- وهـو واقفًـا خلفهـا

-ما الذي جاء بك الى هنا؟

قالتهـا وهـي تلتفـت إليـه وقـد إلتقطـت سريعًـا قطعة مـن الملابـس ووضعتها عـلى جسـدها العـاري محاولـة إخفـاءه، فقال الشـاب

-لا تقلقي يا امرأة، فليس ما يدور في ذهنك هو ما أتي بي إلى هنا.

ثم أكمل بإستهزاء

-فقد كنتي بمثابة أمي في يومًا ما

فكررت ثانية في غضب

-مالذي جاء بك إلى هنا؟

اقترب منها الشاب وقد ظل صامتًا، فشعرت (حتشبسوت) بقلق وخوف شديدين فصرخت

-ياحراس

-لن يسمعك احد.

قالها الشاب في هدوء شديد، فإتسعت عيناها في ذهول وهي تكرر

-ياحراس

-أخبرتك أنه لن يسمعك أحد، أو بمعنى أدق، سيسمعونك، لكن لن يردوا عليك

إرتجفت أطراف (حتشبسوت)، وإرتعشت شفتيها وهي تقول

-ماذا تقصد؟

رد الشاب في ثقة وقد إقترب من أذنها وهو يهمس

-لم يعد هذا القصر قصرك يا امرأة

دفعته بقوة من أمامها وهي تسبه، ثم جرت ناحية باب الغرفة. ولكنها تعثرت في شيء ما فسقطت أرضًا، فجذبها الشاب من شعرها فالتفتت إليه وقد عضته بأسنانها عضة قوية، فدفعها ناحية المرآة التي تحطمت بعد أن إرتطمت بها جبهة (حتشبسوت) والتي سالت منها الدماء. ثم جذبها من شعرها مرة أخرى، وإقترب من وجهها وهو يقول

-انتهى عهدك ياامرأة، فهذه البلاد لا يحكمها إلا الرجال

التقطت (حتشبسوت) قطعة من زجاج المرآة وغرستها في كتفه. فلطمها على وجهها لطمة قوية أسقطتها أرضًا، فالتقطت قطعة أخرى من الزجاج وأخذت تضربه بها على وجهه، لكنه كان قد أمسك برقبتها، وأخذ يحكم قبضته عليها بشدة

ثم...

تحشرجت أنفاسها قبل أن تسقط أرضًا

و..

تلفظ النفس الأخير.

نظر إليها الشاب في ذهول وهو لايصدق أن الملكة (حتشبسوت) قد

ماتـت.

فبكى..

بكى كثيرًا.

فبرغم كل ما فعلته معه إلا أنه لم يكن يريد أن يقتلها

وفجأة..

تذكر أن الطريق نحو العرش أصبح ممهدًا

فوقـف أمـام المـرآة المكسـورة الـتي تعكـس عـشرات الصـور لوجهـه الملطـخ بالدمـاء وقـال بابتسـامة

-الآن، قد آلت إلى الأمور

ثم ضحك ضحكة هيستيرية وهو يقول

-أنا الملك الجديد

أنا..

الفرعون...

(تحتمس الثالث).

(تمت)

# نبذة تاريخية

-عقب موت (حتشبسوت) كانت الأمور تثير القلق. فالموظفون الذين كانوا حولها لم يكن يرضيهم أن يتخلوا عن الإمتيارات التي تنعموا بها طوال حياتها، والملك الشاب (تحتمس الثالث) من ناحيته لم يكن يقبل أن يشاركه أحدهم سلطانه ونفوذه

-ولم يذكر التاريخ أن (تحتمس الثالث) قد لجأ إلى تشويه ذكرى (حتشبسوت). أو قتل موظفيها أو التمثيل بهم، بل إن التاريخ لم يتحدث عن (تحتمس الثالث) وهو يمثل بأعداءه الذين كان يحاربهم. فالإنتقام ليس من صفاته ولا حتى في حروبه.

-ومن الغريب أن عهد (حتشبسوت) يمر دون أن تقع حوادث على الحدود أو تقوم معارك حربية، فهو سلام متصل لا نعرف له سبب، مما جعل مصر تهمل شأن البلاد الآسيوية التابعة لها، وبدأ يظهر الناقمين على الحكم المصري، وقد ساعدهم على ذلك إنصراف الملكة عن الشئون الخارجية.

-وقد ظهرت في نهاية عهدها بعض التيارات التي تدعو للخروج عن الحكم المصري، ثم جاء أمير قادش ليقود هذا التمرد ويوحد بين الخارجين عن الحكم المصري.

-وعندما تولى (تحتمس الثالث) كانت تلك الشعوب قد بدأت تخرج عن الحكم المصري، وتظهر معارضتها له جهرًا، فبدأ في إرسال حملاته التي خرج هو بنفسه على رأسها لإخماد تلك الثورات، وقد أحرز العديد من الانتصارات التي تعد مفخرة لمصر والمصريين.

-ونجد أن (تحتمس الثالث) له أعماله الحربية العظيمة التي يعتز بها التاريخ الحربي، فهو أول من نظم الجيوش وقسمها إلى قلب وجناحين، وأول من درس ساحة القتال قبل المعركة، وأول من نفذ الحرب الخاطفة المفاجئة، وكان حينما يهجم بجنوده يلقي الخوف والفزع في قلوب أعداءه، وقد قارن بعض المؤرخين بينه وبين الإسكندر الأكبر.

-وهو أول من أنشئ إمبراطورية في التاريخ. فهو منشئ ما يعرف بالإمبراطورية المصرية، وهو الذي أخضع الشعوب الأجنبية لسلطانه.

-وهكـذا أدرك الـشرق وأمرائـه أن معـاداة مـصر ليسـت أمـرا يسـيرًا، فرضـوا بالأمـر الواقـع، وخضعـوا لمـصر خضوعـا تامًـا، ورأوا أن الخـير في مهادنتهـا.

-يعتـبر (تحتمـس الثالـث) مـن أعظـم الملـوك الذيـن حكمـوا مـصر، بـل ومـن أشـهر الأبطـال والمحاربـين الذيـن خلدهـم التاريـخ.

# الفصل الثالث عشر- (الدرويش)

إتسمت الحياة الدينية في مصر القديمة بتعدد الآلهة، فقد كان لكل مدينة وكل مركز وكل قرية معبودها الخاص، هذا إلي جانب المعبود الرسمي للدولة، حيث كانت توجد آلهة كونية كبرى مثل (رع- أوزيريس- أمون)، وكان المصريين يعبدون المعبود الرسمي للدولة -في تلك الآونة كان الإله أمون- إلى جانب معبودهم الخاص، لذلك فقد تعددت الآلهة في مصر القديمة.

*****

كان شخصًا مرحًا ومتحدثًا لبقًا، أحبه الجميع حينما كان جالسا على العرش بجوار أبيه الملك (أمنحتب الثالث)، إلا أنه بعد وفاة أبيه وبعد أن آلت إليه الأمور وجلس على العرش بمفرده، لاحظ عليه الجميع تغيرًا جذريًا في شخصيته، فقد أصبح قليل الكلام، يقضي كل أوقاته في صمت، الأمر الذي أثار ريبة كل من حوله.

-لا يمكن أن يكون هذا صواب

قالها لنفسه وهو وحيدًا في غرفته -كعادته في الآونة الأخيرة- ثم جلس في هدوء تام وأغمض عينيه وهو يستنشق الدخان المنبعث من المبخرة التي إشتعلت أمامه ثم قال

-لابد أنه واحد أحد، لا شبيه له.

*****

فوجئ الحراس الذين أخذوا ينظرون لبعضهم البعض في ذهول وهم يرون ذلك الفرعون الشاب الذي وقف في منتصف المعبد المكشوف -بلا سقف- وهو يرفع يده للسماء، وقد سقطت عليه أشعة الشمس عمودية، يتمتم بعبارات لا يفهمها أحد

-أنت تطلع ببهاء في أفق السماء

يا أتون الحي، يا بداية الحياة

عندما تبزغ في الأفق الشرقي

تملأ كل البلاد بجمالك

أنت جميل، عظيم متلألئ، وعال فوق كل بلد

وبرغم من أنك بعيد، فإن أشعتك على الأرض

وبالرغم من أنك أمام أعينهم، فلا يعرف أحد خطوات سيرك

دخل عليه (حور محب) قائد الجيش وهو يقول على إستحياء

-مولاي

إرتعش جسد الفرعون وكأنه إستيقظ فجأة من حلم، ثم إلتفت له في عصبيه وقد إتسعت عيناه وهو يقول

-ألم أخبركم أني لا أريد أن يقاطعني أحد

رد (حور محب) بحزم شديد

-لكن يا مولاي، الأمر في غاية الأهمية

تنهد الفرعون وهو يقول

-هات ما عندك

-لقد أرسل (ربعدي) أحد المخلصين لك ولحكمك رسالة خطيرة يقول فيها

((إن عبد شرتا كلب يسعى لإمتلاك مدن الملك))

أعطى الفرعون ظهره له ثم نظر للسماء مرة أخرى وقال

-هو حارسنا، هو حامينا، هو من يخلصنا من الأعداء

-لكن يامولاي، هذه ليست أول رسالة إستغاثة، فقد أرسل إلينا العديد من الرسائل من قبل، ونحن لم نحرك ساكنًا

كررها الفرعون ثانية

-هو حارسنا، هو حامينا، هو من يخلصنا من الأعداء

وفجأة..

دخلت الملكة (تي) أم الفرعون وصرخت فيه قائلة

-ألن تكف جنونك هذا وتنتبه لعرشك الذي تنهشه الكلاب؟

نظر الفرعون إلى (حور محب) الذي استشعر الحرج فاستأذن بالإنصراف، ثم نظر الفرعون إلى أمه قائلًا

-لا يجب أن تخاطبيني بهذه الطريقة أمام رجالي يا أمي

ردت الأم التي أمسكته من ملابسه وهي تقول

-أهذا كل ما يهمك؟

قاطعتها (نفرتيتي) التي دخلت فجأة، ثم وقفت بجانب زوجها الفرعون وقد رفعت يديها للسماء وكأنها تستنشق أشعة الشمس الساقطة عليها وهي تتمتم

-ما أعظم أعمالك التي عملتها

أيها الإله الأوحد الذي لا شبيه له

لقد خلقت الدنيا كما شئت

عندما كنت وحدك

الناس والماشية وكل الوحوش الضاربة

وكل ما على الأرض يسعى على قدميه

وكل ما يرتفع في السماء يطير بجناحيه

كانت الملكة (تي) واقفة تنظر في ذهول إلى (نفرتيتي) التي إلتفتت إليها بعد أن أنهت صلاتها وهي تقول

-أتلومين ابنك لأنه عرف الحق، وشرح النور صدره؟

رمقتها الملكة (تي) بإستحقار شديد من قدميها وحتى رأسها ولم تعلق على ما قالته، ثم إلتفتت إلى ابنها الفرعون وهي تقول بحسرة

-الإمبراطورية تتمزق، وأنت في مكانك لا تفعل شيئًا يا (أمنحتب)

قاطعها الفرعون في هدوء

-تقصدين (أخناتون)* وليس (أمنحتب)

جن جنون الأم مرة أخرى وهي تقول بغضب

-أيها المجنون، ماذا أصابك؟ لهيب الثورة قد أشعل البلاد وقسمها، وأنت هنا أقصى ما تفعله هو أن تغير اسمك لتتقرب من إلهك التافه هذا

إعترضت (نفرتيتي) وهي تقول

-لا تتحدثي عن (آتون) الواحد الأحد بهذه الطريقة، حتى لا تحل عليك لعنته

أخذت الأم نفسًا عميقًا في محاولة منها أن تتخلص من غضبها، ثم قالت لابنها وقد تجاهلت ما قالته (نفرتيتي) تماما

-سأفترض معك أن إلهك هذا هو الواحد الأحد. فلا يصح أبدا أن تفرضه

بالقوة هكذا علي الجميع، فهذا أمر خطير، وإنما يجب أن يتم الأمر تدريجيا و بهدوء حتى يستوعبه الناس

رد الفرعون و مازال هادئًا

---

((*كان أمنحتب الرابع قد غير أسمه الي أخناتون. فأمنحتب تعني المخلص للإله أمون أما اخناتون تعني المخلص للإله اتون ))

-آن الأوان يا أمي أن يفرق الناس بين الحق والباطل

ردت الأم وقد إرتسمت ملامح الغضب على وجهها للمرة الثالثة

-وما أدراك أنه الحق ؟، فقد حلت لعنة جميع الآلهه الأخرى على البلاد ولا تظن أن كهنة (أمون) وأتباعه سيتركونك هكذا، بل سيفتكون بك في أقرب فرصة لهم

كاد الفرعون أن يقتنع بكلام أمه.. فظل صامتا وهو يفكر وقد ضاقت عيناه. ثم أوشك على أن يقول شيئا

ولكن ..

ضمته (نفرتيتي) إليها وإحتضته بقوة. ثم قامت برفع يديها إلى السماء وهي تقول بخبث شديد

-هو حارسنا، هو حامينا، هو من يخلصنا من الأعداء

استسلم الفرعون لزوجته بعد أن أغمض عينيه بين ذراعيها.

و ...

تنهدت الأم تنهيدة عميقة في يأس شديد. ثم إقتربت من وجه (نفرتيتي) وهي تقول لها بأسى

-ستكونين سببًا رئيسيًا في ضياع الإمبراطورية يا (نفرتيتي)

ثم إلتفتت ومشيت ناحية باب الخروج وهي تقول بإستهزاء لا يخلو من الحزن

-سوف تدفع الثمن غاليًا يا (أمنحتب)

أقصد يااا...

(أخناتون)

ثم تركتهما يقفان تحت شعاع الشمس في منتصف المعبد..

المعبد المكشوف.

*****

# نبذة تاريخية

-تـولى (أمنحتـب الرابـع) عـرش البـلاد في الوقـت الـذي كانـت فيـه منطقـة الـشرق القديـم تغـلي بالـصراع، ولـم يكـن مـن اليسـير التنبـوء بالدولـة الـتي تسـتطيع أن تحتـل مركـز الصـدارة، وكان كل شيء يتوقـف عـلى نوعيـة ملـك مـصر، فـإذا كان مـن طـراز (تحتمـس الثالـث) فقـد ضمـن لمـصر السـيطرة والتفـوق.

-ولكـن مـصر في ذلـك الوقـت أنجبـت رجـلًا مـن طـراز اخـر، كان عظيمًـا مـا في ذلـك مـن شـك، ولكـن عظمتـه كانـت ولسـوء الحـظ مـن لـون غـير الـذي تقتضيـه الظـروف الشـائكة الـتي كانـت تمـر بهـا الإمبراطوريـة، والـتي كانـت أوضاعهـا تتطلـب رجـلًا مـن طـراز (تحتمـس الثالـث)

-لكـن بـدلًا مـن المحـارب الـذي يسـتطيع أن يوقـف أطمـاع الحاقديـن. نـرى داعيـة للسـلام، وبـدلًا مـن السـياسي المحنـك الـذي يقابـل مؤامـرات العـدو بمؤامـرات أكـثر حنكـة منهـا، نـرى حاكمًـا ذا خيـال واسـع يطمـع في أن يعيـش النـاس عـلى الحـق وللحـق، ويدعوهـم لعبـادة الإلـه الواحـد، حيـث كان (أمنحتـب الرابـع) يدعـو إلى توحيـد العبـادات المصريـة كلهـا في عبـادة واحـدة

هـي عبـادة الإلـه (آتـون) قـرص الشـمس

-ويبـدو أن هـذه الدعـوة لاقـت منـذ بدايتهـا معارضـة كبـيرة مـن كهنـة الإلـه (أمـون رع) لأنهـم أيقنـوا مـدى مـا سـيفقدونه مـن سـلطان في حالـة نجـاح هـذه الدعـوة.

-ولهـذا بـدأ الصـدام بـين الملـك وكبـار رجـال الديـن مـن جهـة وبينـه وبـين بعـض العائـلات المحافظـة مـن جهـة أخـرى، ولـم يكـن أمـام الملـك سـوى أن يعلنهـا حربًـا صريحـة عـلى (أمـون) وكهنتـه، فأعلـن (آتـون) إلهًـا رسـميًا للدولـة، بـل إلهًـا للإمبراطوريـة كلهـا، وأمـر بتحويـل جميـع معابـد الإلـه (أمون رع) إلى أماكـن لعبـادة الإلـه الجديـد وبإزالـة اسـم (أمـون) مـن عليهـا، وحـدث نفـس الـشيء بالنسـبة للآلهـة الأخـرى.

-ولـم يقـف الأمـر عنـد هـذا الحـد. بـل إننـا نجـد الملـك يغـير اسـمه مـن (أمنحتـب) الـذي يتضمـن في جزئـه الأول اسـم (أمـون) إلي (أخ- أن- أتـون) ومعنـاه المخلـص لأتـون.

-وكان مـن نتيجـة ذلـك أن حـدث إنقسـام في البـلاد وخصوصًـا في صفـوف رجـال الدولـة، فأبقـى منهـم (أخناتـون) مـن سـانده في دعوتـه، وأبعـد مـن لـم يعـترف بإلهـه الجديـد.

-وبعـد فـترة قصـيرة وجـد (أخناتـون) أن جـو طيبـة لـم يعـد ملائمـا لنـشر

دعوتـه، فهـو جـو مـلئ بالحقـد والدسـائس والسـموم، فمـا كان منـه إلا أن هجـر طيبـة وإختـار مدينـة جديـدة لـه وأطلـق عليهـا اسـم (أخـت - آتـون) أي أفـق اتـون، وهـي المنطقـة المعروفـة حاليًـا بإسـم (تـل العمارنـة).

-وقـد أشرنـا مـن قبـل إلى أن الإمبراطوريـة المصريـة كانـت في حاجـة إلى ملـك قـوي يسـتطيع أن يـرد عنهـا شر الجـيران الطامعـين.

-ولمـا كان (أخناتـون) رجـلًا مثاليًـا يعيـش في منـاخ الحـق والصـدق، وفي الوقـت الـذي كان مشـغولا فيـه بإلهـه الجديـد وبنـاء مدينتـه الجديـدة، كانـت الأمـور تسـير في غـير صالـح الإمبراطوريـة.

-فقـد أخـذت مملكـة (خيتـا) تغـير بـين الحـين والاخـر عـلى أطـراف سـوريا وتضمهـا ولايـة بعـد أخـرى إلى ممتلكاتهـا، كمـا أخـذت مـدن كثـيرة في فلسـطين وفينيقيـا تسـتقل بنفسـها وتخـرج عـن طـوع ملـك مـصر، بـل إن بـدو الصحـراء أيضًـا أخـذوا يثـيرون القلاقـل والمتاعـب.

-وقـد اسـتنجد الحـكام المصريـون في تلـك الأماكـن أو الأمـراء الأسـيويون المخلصـون لمـصر بالملـك (أخناتـون) وأرسـلوا إليـه العديـد مـن الرسـل والرسـائل، ولكنـه لـم يبـد إهتمامًـا، بـل أنهـم أرسـلوا إلى أمـه الملكـه (تي) تلـك الملكـة القويـة الـتي بذلـت جهـدًا كبـيرًا لجعـل ابنهـا يفيـق مـن غفلتـه، لكنـه لـم يحـرك سـاكنًا، ورفـض أن يتخـذ موقـف مـن الأحـداث الـتي تجـري

مـن حولـه، واكتفـى بالتعبـد لإلهـه، ووضـع الأناشـيد في مدحـه.

-ضاعـت صرخـات الموالـين لمـصر وسـط زحـام الأحـداث وضربـات الأعـداء في الخـارج والداخـل، ولـم يكـن هنـاك مـن سـبيل لوقـف النزيـف في عهـد هـذا الملـك ومـن خلفـه مـن ملـوك ضعـاف، إلى أن شـاء القـدر لمـصر أن تسـترجع مجدهـا عـلى يـد ملـوك الأسرة التاسـعة عـشرة.

-وإذا كان اسـم (أخناتـون) قـد إرتبـط بانهيـار الإمبراطوريـة، فإنـه مـن ناحيـة أخـرى قـد إرتبـط بتلـك الثـورة الدينيـة والفكريـة الجديـدة.

-وقـد أُثـيرَ الجـدل حـول صلـة أناشـيد (اخناتـون) بالمزمـور ١٠٤ مـن مزامـير النـبي داوود عليـه السـلام، حيـث أن كلاهمـا تضمـن نفـس المعـاني والأفـكار.

-يـرى البعـض أنـه ليـس هنـاك تأثـير مـن نشـيد (اخناتـون) عـلى المزمـور ١٠٤ وأن الأمـر مجـرد تـوارد خواطـر، بينمـا يـرى البعـض الآخـر أن هنـاك بعـض التأثـير الـذي عللـوه بإحتمـال وصـول النشـيد إلى أسـيا وبقـاؤه في آدابهـا تتنتقـه الأجيـال حـتى جـاء الوقـت الـذي بـدأ فيـه العبرانيـون كتابـة التـوراة في القـرن الثامـن قبـل الميـلاد.

-ولـم يقـدر لهـذه العقيـدة أن تسـتمر بعـد وفـاة صاحبهـا لأنهـا كانـت مرتبطـة بوجـوده عـلى إعتبـار أنـه كان الواسـطة بـين الإلـه والنـاس، فلـم تأخـذ الديانـة الشـعبية اللازمـة لتحقيـق اسـتمراريتها، ولـم تكـن قـادرة عـلى الصمـود أمـام

ضربات كهنة (أمون).

-ورغم أن كهنة (أمون) بذلوا كل الجهد بعد وفاة (اخناتون) لتحطيم آثاره وآثار إلهه (آتون)، إلا أن هذه العقيدة ظلت باقية كصفحة ناصعة البياض في تاريخ الفكر البشري.

-مات (أخناتون) بعد حكم دام حوالي ٢١ عامًا

# الفصل الرابع عشر – (الألعوبة)

اجتمع كهنة (آمون) في القاعة الرئيسية بمعبدهم، يتدبرون أمرهم بعد وفاة الفرعون (أخناتون)، وفي أثناء ذلك قال أحد الحاضرين موجها حديثه إلى كبير الكهنة

-الأن قد سنحت لنا الفرصة لإستعادة نفوذنا مرة أخرى ياسيدي

رد كبير الكهنة قائلًا

-الأمر ليس بهذه السهولة، علينا أن نجد طريقة ما نقضي بها تمامًا على عبادة (آتون) ونعيد عبادة (أمون) مرة أخرى

رد عليه أحد الحاضرين

-سيدي كبير الكهنة، لماذا لا تتزوج من إحدى بنات (أخناتون)، وبذلك يصبح العرش بين يديك

ابتسم كبير الكهنة قبل أن يقول

-في سني هذا أتزوج طفلة؟، ما هذا المزاح يارجل

فقال آخر

-أتزوجها أنا يا كبير

-وتصبح أنت الفرعون؟

قالها كبير الكهنة بسخرية وهو يضحك، فضحك جميع من في القاعة، ثم استعاد وقاره مرة أخرى وقال بجدية

-نحتاج إلى شخص ليس من بيننا، ولا من بين أبناءنا، حتى لا نلفت الأنظار إلينا

سكت جميع من في القاعة للحظات قبل أن تأتي إلى ذهن أحدهم فكرة أراد أن يطرحها عليهم فقال

-سيدي، لقد لاحظت في الآونة الأخيرة تبادل نظرات الإعجاب بين الأميرة (عنغ اس أن آتون)* و(توت عنخ آتون)، هل تعرفه ياسيدي؟

-لا، لا أعرفه، من هذا؟

-إنه ولد مطيع هادئ الطباع، لم يتجاوز الثانية عشر من عمره

هز الرجل رأسه إيجابًا وهو يقول

---

*(( عنغ اس أن آتون : ابنة أخناتون ))

صمت كبير الكهنة قليلًا، ثم ضاقت عيناه وهو يقول

-أتفكر فيما أفكر فيه؟

-صدقني ياسيدي، سيصبح ألعوبة بين أيدينا

صمت كبير الكهنة قليلًا، ومسح جبهته بيده، ثم إلتفت إلى الحاضرين وقال

-ما رأيكم؟

أيد الجميع تلك الفكرة، فأمر كبير الكهنة بإرسال ذلك الشاب الصغير ثم إلتفت ثانية إلى الرجل صاحب الفكرة و سأله

-أخبرني بإسمه مرة أخرى

رد الرجل

-(توت عنخ آتون) يا سيدي

إلتمعت عين كبير الكهنة وهو يقول في دهاء

-سيصبح اسمه من الآن (توت عنخ أمون)*

---

((* أي الصورة الحية للإله أمون))

# نبذة تاريخية

-كان (توت عنخ أمون) عندما تولى العرش طفلًا صغيرًا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وكان قد تزوج من إحدى بنات (أخناتون) الأميرة (عنخ أس أن اتون).

-عمل (توت عنخ امون) على إعادة بناء المعابد للإله (أمون) وترك مدينة (أخيتاتون) عاصمة (أخناتون) وانتقل إلى العاصمة القديمة (طيبة)، وغير اسمه من (توت عنخ آتون) إلى (توت عنخ أمون).

-بدأ كهنة (أمون) في استعادة ما كان لهم من سلطان قبل عهد (أخناتون).

-وعلى الصعيد الخارجي نجد أن مصر كانت في حاجة إلى ملك قوي، يعيد للإمبراطورية المصرية هيبتها، ولكن (توت عنخ أمون) كان صغيرًا ضعيفًا، فنجد أنه ليس هناك أي تغير سوى تلك الحملة الواحدة التي أرسلها وعلى رأسها قائد الجيش (حور محب).

-مات (توت عنخ أمون) ولم يتجاوز العشرين من عمره، بعد حكم دام حوالي تسع سنوات.

-وقـد أصبـح هـذا الملـك علمـا مـن أعـلام الحضـارة المصريـة، ليـس لأنـه كان ملـكًا محاربًـا سـاهم في توسـيع الإمبراطوريـة، أو لأنـه كان ملـكًا بنـاءًا أقـام العديـد مـن المنشـآت، ولكـن لأن القـدر أراد لمقبرتـه أن تختفـي عـن أعـين اللصـوص، فتظـل محتفظـة بكنوزهـا الـتي تفخـر بهـا الحضـارة الإنسـانية.

-تـم إكتشـاف مقـبرة (تـوت عنـخ أمـون) في نوفمـبر ١٩٢٢، وقـد كان ذلـك الحـدث واحـدًا مـن أهـم الأحـداث الأثريـة في القـرن العشريـن.

# الفصل الخامس عشر– (القائد)

كان هناك رجلا يترقب كل تلك الأحداث ويتابعها بل ويحللها جيدًا منذ البداية، كان قائدا للجيش في عهد (أخناتون)، وقد استطاع أن يحافظ على منصبه الرفيع هذا في عهد (توت عنخ أمون) أيضا.

كان رجلًا قويًا يعلم ما يدور خلف الكواليس بحكم منصبه، وكان حزينًا لما وصلت إليه الأمور في مختلف أنحاء البلاد، فقرر أن ينقض على العرش في أقرب فرصة. وبالفعل قد سنحت له تلك الفرصة بعد وفاة (توت عنخ أمون) الذي مات وهو في العشرين من عمره

وفي ذات يوم كان يجلس قائد الجيش هذا في مقره بمدينة منف وكان معه نائبه الذي قال

-أعلنت أقاليم سوريا العصيان وأوشكت على الإنفصال، والثورة تشتعل في كل مكان

ظل قائد الجيش بملامحة الجامدة صامتًا، فسأله نائبه

-ماذا سنفعل ياسيدي؟

-ترى أي الفريقين سيفوز في نهاية هذا الصراع (أمون) أم (آتون)؟

قالها القائد وهو مستغرقا في التفكير، فرد نائبه

-طوال السنوات الماضية في عهد (توت عنخ أمون) سيطر كهنة أمون على الحكم. وأنا أعتقد أن الوسيلة الوحيدة لإيقافهم، هي تهميش ديانتهم تمامًا، وإعادة إحياء ديانة آتون مرة أخرى

صمت قائد الجيش قليلًا ثم قال

-لا، لا أعتقد ذلك، فقد إنتهت العبادة الاتونية بوفاة صاحبها (أخناتون)، ولن تقوم لها قومة مرة أخرى، ولا تنسى أن تلك العبادة كانت سببًا رئيسيًا في إشعال الثورة وتمزق البلاد.

رد النائب متسائلًا

-إذا فما العمل ياسيدي؟

-نرسخ عبادة أمون في جميع أنحاء البلاد مادامت كفته هي الراجحة.

تعجب النائب من قول سيده فقال له وهو يعقد حاجبيه

-لكن ياسيدي، عندها، لن نستطيع أن نمنع سيطرة كهنة أمون علينا وعلى مقاليد الحكم، كما فعلوا من قبل.

حك قائد الجيش ذقنه وقد ضاقت عيناه وهو يقول

-سنضع أيدينا في أيدي كهنة أمون في بداية الأمر فقط، وعندما تستقر لنا الأمور. سأبعدهم تمامًا عن الحياة السياسية، ولن أسمح لأحد أن يتدخل في شئون الحكم.

ثم تنهد تنهيدة عميقة وهو يكمل

فأنا لست ك (اخناتون) الدرويش التائه في صومعته

ولست ك (توت عنخ أمون) ألعوبة الكهنة

أنا قائد الجيوش.

أنا الملك القادم.

أنا الفرعون (حور محب).

(تمت)

# نبذة تاريخية

-لم يكن (حور محب) من البيت الملكي، وقد كان يشغل منصب قائد الجيش المصري في عهد (أخناتون).

-ويبدو أن (حور محب) كان مؤيدًا في البداية لعقيدة (آتون)، لكنه بدأ يرفض هذه الدعوة بعد أن أحس بالضعف الذي أظهره (أخناتون) اتجاه المناطق الخاضعة لمصر.

-يعتبر عصر (حور محب) عصر إصلاح داخلي كافح فيه ضد الإنهيار الداخلي الذي حدث في مصر أثناء الثورة الآتونية، فقد بذل جهدًا كبيرًا لتحقيق الأمن والإستقرار في البلاد، وأعاد للإله (أمون) مكانته، وأنصف المظلومين، ووضع القوانين واللوائح التي تنظم الأمور الداخلية للبلاد.

-وبعد الإستقرار الداخلي. بدأ (حور محب) يعمل على إنقاذ مصر على المستوى الخارجي، إلا أنه مات قبل أن يحقق ذلك.

-انتقل العرش من بعده إلى أسرة جديدة هي الأسرة التاسعة عشر، التي تبدأ بحكم الملك (رمسيس الأول)، وقد بدأت مصر في عهد هذه الأسرة في استعادة مجدها على المستوى الداخلي والخارجي مرة أخرى.

# الفصل السادس عشر-
# (بطل الحرب والسلام)

كان ملك الحيثيين (موتلي) قد استمال إليه بعض حكام الولايات المناوئة لمصر والطامحة في الخروج على سلطان الملك المصري، وقد أعد جيشًا قويًا جمعه من كل هذه الولايات ومن بعض الجنود المرتزقة، وتقدم إلى قادش التي تعتبر بمثابة بوابة سوريا الشمالية، وفي الوقت نفسه كان الفرعون المصري يجتمع بقيادات جيشه يخططون معا لمعركة كبيرة لتأديب هؤلاء الذين يحرضون الجميع ضد مصر

وفي أثناء الاجتماع...

بعد أن شرح أحد القادة خطته أمام الحاضرين، أشار بيده نحو الماكيت (نموذج مصغر لأرض المعركة) الذي كان أمامه وهو يقول للفرعون

-ومن هنا يبدأ الهجوم

صمت الفرعون قليلًا وهو يفكر ثم قال متنهدًا

-لست مطمئنًا لهذه الخطة

نظر القائد للفرعون بإستغراب شديد وهو يقول

-لماذا يامولاي؟ فالأمر مدروس جيدًا، وذلك المكان هو الأفضل لخوض المعركة فقد إستملنا بعض الرجال من بين صفوف العدو، وهم من أخبرونا بأن هذه المنطقة هي أكثر نقاط ضعفهم.

مسح الفرعون ذقنه بيده وهو يقول في حيرة

-وهذا ما يقلقني

صمت الفرعون قليلًا وهو يقلب نظره بين الحاضرين قبل أن يكمل

-فأنا لست واثقًا في هؤلاء الرجال

*****

كان شك الفرعون في محله، فقد كانت جيوش الحيثيين تتحصن في موقعها تنتظر مجيء القوات المصرية في المكان الذي أبلغتهم به الجواسيس.

وبالفعل هاجم المصريين جيش الحيثيين في المكان المحدد، إلا أن الحيثيين قاموا بمناورة مفاجئة ونجحوا في الإنقضاض على القوات المصرية، فأجهزوا على المصريين تمامًا.

إحتفل الحيثيين بهذا الانتصار العظيم، وبدأوا في تقسيم الغنائم.

وفجأة..

ظهر الفرعون المصري وهو منتصبا فوق حصانه ومن خلفه جيش جرار من المصريين، ثم أعطاهم إشارة ببدء الهجوم.

الهجوم المرعب.

والذي لم يكن الحيثيين مستعدين له.

و...

بدأت المعركة الحقيقية.

معركة قادش.

*****

لم ينتصر المصريون في المعركة ولكن أيضا لم ينهزموا، وإنما يمكننا أن نقول بأن المعركة انتهت بتعادل بين الفريقين، ولكن لنا أن نتخيل

نتائج تلك المعركة لو كان المصريون هاجموا من البداية بكامل قوتهم، ووقعوا في المصيدة.

لولا..

دهاء الفرعون المصري

*****

# عودة للاجتماع مرة أخرى

-هذا ما يقلقني، أنا لست واثقا في هؤلاء الرجال

قالها الفرعون، فرد القائد

-لكن يامولاي، هؤلاء أثبتوا ولائهم إلينا، وتأكدنا من صدقهم في المرات السابقة

قال الفرعون وقد ضاقت عينيه

-هذه المرة ليست كالمرات السابقة، فأنا لا أضمن ولاء من تجسس على بلاده، لذلك، أرى ألا يهجم جيشنا بكامل قوته مرة واحدة

نظر الحاضرين لبعضهم البعض، ثم قال أحدهم

-لكن يامولاي القوة في الجماعة، فالجيش بأكملة قوة خارقة لايقدر عليه أحد، أما إذا تفرق فسوف..

قاطعه الفرعون وهو يقول

-لا نعلم ما يخفيه لنا العدو، خاصة وأن المعركة على أرضهم، فقد

يستدرجونا لفخ نصبوه لنا هناك

ثم أشار بيده نحو الماكيت وهو يقول

-سَنُقسم إلى أربع فرق عسكرية (أمون - رع - بتاح - ست) وستبدأ فرقة (رع) فقط بالهجوم

وعندها فقط..

سنعلم مدى صدق أو كذب هؤلا ال..

الجواسيس.

*****

# بعد عدة سنوات

بعد وفاة الملك الحيثي (موتلي) وصلت أنباء لملكهم الجديد (خاتوسيلي) بأن الفرعون المصري يستعد لشن هجومًا كبيرًا عليهم، فاجتمع (خاتوسيلي) بكبار قادته ليجدوا حل لتلك الأزمة، وقال

-لسنا على استعداد لمواجهة ذلك الداهية المصري -يقصد الفرعون- مرة أخرى، فقد نجونا منه بأعجوبة في المرة السابقة، فما رأيكم؟

-قولك حق يامولاي، ففي المرة القادمة لن يهدأ له بال قبل أن يجهز علينا تمامًا

صمت الجميع لبعض الوقت ثم قال أحدهم

-فلنرسل له في طلب الصلح يا مولاي

نظر (خاتوسيلي) إلى الرجل وقال

-صلح، أي صلح هذا؟

ثم صمت قليلًا وأخذ يفكر في الأمر قبل أن يكمل

-وهل سيوافق؟ فما الذي يجبر ذلك المصري على عقد الصلح معنا بينما بإمكانه مواصلة الحرب وإحراز النصر علينا بكل سهولة؟

-لن نخسر شيئًا يامولاي، وستكون فرصتنا الأخيرة لننجو من هؤلاء المصريين

فكر (خاتوسيلي) قليلًا قبل أن يقول في قرارة نفسه

-حقًا، لن نخسر شيئًا.

*****

بعد أن تناولوا طعامهم ونالوا قسطًا قليلًا من الراحة بعد عناء سفر طويل، سمح الحرس لرسل (خاتوسيلي) بالدخول إلى القاعة الرئيسية بالقصر الملكي، هؤلاء الذين إلتمعت عيونهم وفغرت أفواههم من فخامة القصر وإتساعه وإرتفاع سقفه وبراعة أعمدته المزخرفة، وهم لا يصدقون لمعان الأرض التي تسير عليها أقدامهم.

ثم..

إقشعرت أبدانهم عندما رأوا الفرعون الجالس على عرشه في مهابة كبيرة وقد إلتف حوله عدد من كبار رجال دولته، فسجدوا جميعًا وانحنت

رؤوسهم أرضًا تحية له، ثم وقف أحدهم وقال

-مولاي الفرعون المبجل، فإن سيدي (خاتوسيلي) ملك الحيثيين أرسلنا إليكم ويداه ممدودتان بالسلام

رد الفرعون بحزم شديد

-سلام؟ أي سلام هذا الذي تتحدثون عنه بعد أن حرضتم جميع الأقاليم ضدنا؟

إهتزت أعماق الرجل الذي قال في خضوع وقد أحنى رأسه للأمام

-مولاي، جئنا آسفين نادمين طامعين في كرم مولاي الفرعون المبجل

فكر الفرعون وظل صامتا للحظات قبل أن يقول في هدوء

-اذهبوا لترتاحوا الآن، وغدًا نتدبر هذا الأمر

تنفس الرجل الصعداء، وإطمئن لسماعه تلك الكلمات، فخر ساجدًا أمام الفرعون لتحيته، بعد أذن الفرعون له ولمن معه بالإنصراف.

بعدها...

وافق الفرعون على الصلح بعد أن أملى شروطه كاملة.

وبذلك يكون الملك المصري هو صاحب أول معاهدة سلام في التاريخ

هو بطل الحرب والسلام

إنه الفرعون..

(رمسيس الثاني)

(تمت)

# نبذة تاريخية

-كان (حـور محـب) آخـر ملـوك الأسرة الثامنـة عـشر. وبوفاتـه تبـدأ أسرة جديـدة هـي الأسرة التاسـعة عـشر والـتي تعـرف مـع الأسرة العشريـن بإسـم (عـصر الرعامسـة). وذلـك لأن هـذا العـصر قـد حكـم فيـه أحـد عـشر ملـكًا يحملـون اسـم (رمسـيس) اثنـان منهـم في الأسرة التاسـعة عـشر، وتسـع في الأسرة العشريـن.

-حكـم بعـد الملـك (حـور محـب) أحـد القـادة العسـكريين الذيـن كانـوا عـلى نفـس شـاكلته وهـو الملـك (رمسـيس الأول)، ورغـم أنـه لـم يحكـم سـوى عامـين، إلا أنـه اسـتكمل مسـيرة (حـور محـب) في تحقيـق الأمـن والإسـتقرار، كمـا أقـام العديـد مـن المنشـآت.

-جـاء في الحكـم بعـد (رمسـيس الأول) الملـك (سـيتي الأول) والـذي لفـت اسـمه الأنظـار لأنـه يعـبر عـن إرتبـاط صاحبـه بإلـه الـشر في مـصر القديمـة، وهـو الإلـه (سـت)، حيـث أن (سـيتي) تعـني (المنتمـي للإلـه سـت).

-إهتم (سيتي الأول) بتوطيد حكم الأسرة وتهيئة كل وسائل الأمن والأمان لتحقيق الإستقرار الداخلي والخارجي، كما إهتم بتقوية دعائم الإمبراطورية المصرية التي كانت قد تعرضت للضعف في عهد الثورة الآتونية، وقد كان يخرج بنفسه أحيانًا على رأس حملات في اتجاه الشرق والغرب والجنوب.

-أعاد هذا الملك أجزاء كبيرة إلى الإمبراطورية المصرية مرة أخرى، حيث أصبحت أجزاء كبيرة من سوريا تقع تحت النفوذ المصري، وقد تم تسجيل أخبار هذه الحملات على جدران معبد الكرنك.

-وجرت المعركة بين (مصر) وعدوها التقليدي -مملكة خيتا- وذلك لأن (خيتا) كانت تسعى دائمًا لتمرد الولايات الخاضعة لمصر، بل وتدعمها.

-ورغم أن أحد الطرفين لم يحرز نصرا حاسمًا، إلا أنها كانت كافية لكي تستشعر (خيتا) قوة الملك المصري وجيشه، وأن مصر لم تعد تلك الدولة الضعيفة كما كانت في فترات ضعفها.

-إهتم (سيتي الأول) بالإصلاح الداخلي، واتخذ من الأساليب ما يحقق الرخاء لشعب مصر، كما إهتم بإقامة المنشآت، وإرسال حملات التعدين.

-خلفه على عرش البلاد ابنه الملك (رمسيس الثاني) الذي يعتبر واحدًا من أهم ملوك مصر القديمة.

-تعلم (رمسيس الثاني) كولي للعهد الكثير من صفات أبيه، ونهج نهجه في التعامل مع القضايا الداخلية والخارجية.

-خاض (رمسيس الثاني) واحدة من أشهر معارك التاريخ القديم (معركة قادش). وهو صاحب أقدم معاهدة سلام في التاريخ، تلك التي عقدها مع الملك (خاتوسيلي)، والمسجلة على جدران معبد الكرنك.

-إرتبط اسم (رمسيس الثاني) بحدث خروج بني إسرائيل وسيدنا موسى عليه السلام من مصر. ولكن ليس هناك ما يؤكد حتى الآن صلته بهذا الحدث.

-ونجد أن (رمسيس الثاني) واحد من قلائل حكموا فترات زمنية طويلة(٦٧ عام). وهو صاحب أكبر عدد من الأبناء (حوالي ٥٢ ولدا و٣٢ بنتا)، وزوجته هي الملكة الشهيرة (نفرتاري)، وهو صاحب أضخم تمثال نحته بشر في التاريخ. والذي سقط بفعل زلزال، والموجود في معبد الرمسيوم، وهو صاحب أهم المومياوات من حيث تقنية التحنيط، وصاحب أضخم معبد منحوت في الصخر (معبد أبوسمبل)، وأكبر عدد من المعابد في بلاد النوبة، وأضخم صالة أعمدة في مصر بمعبد الكرنك.

-ويكاد يكون الملك المصري الوحيد الذي ترك لنفسه أثر في كل مكان على أرض مصر، وهنا علينا أن نوضح ما يردده البعض من أن هذا الملك العظيم كان يسلب آثار من سبقوه بمسح أسمائهم، ووضع اسمه بدلا منهم.

-والواقع أن هذا غير صحيح, فهو رجل ملأ الدنيا بأخباره وانتصاراته، وملك من الإمكانات المادية والبشرية ما يجعله قادرًا على تحقيق مشروعاته، فهل يمكن لشخص بهذا التاريخ، وبأخلاق رجل الحرب والسلام أن يفعل ذلك ويسلب آثار آباءه وأجداده.

-وبتحليل وفهم النصوص الهيروغليفية المصاحبة لآثار الآخرين التي نقش عليها اسم (رمسيس الثاني)، نجد أنه كان مجددا ومرمما. بل كان وفيا لمن سبقوه، وقد كان حريصا على إستكمال منشآتهم التي لم تكن قد إكتملت في حياتهم، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه من حق من أضاف أو جدد أو رمم أن يسجل اسمه تخليدًا لعمله

-يعد (رمسيس الثاني) واحدًا من أعظم ملوك مصر القديمة بل ومن أعظم ملوك العالم القديم، وقد حقق ما لم يحققه ملك من قبله

سـواء عسـكريا أو معماريًـا، ونـال مـن الشـهرة مـا جعـل اسـمه يـتردد دائمـا عندمـا تذكـر الحضـارة المصريـة القديمـة.

*****

# الفصل السابع عشر-
# (آخر العظماء)

كانت شعوب البحر المتوسط قد إتحدت معا لغزو مصر، ومنهم (الثكرت) وهم أصل سكان جزيرة صقلية و(البيلست) وهم أصل الفلسطينيين، و(الشردن) وهم أصل سكان جزيرة سردينيا،.. وغيرهم.

كان لدى المصريين أسطولًا كبيرًا، لكنه أسطول تجاري (مجموعة من السفن للتجارة ونقل البضائع فقط)، وعلى الرغم من أن المصريين كانوا ملوك المعارك البرية على اليابسة، إلا أنهم في ذلك الوقت لم يكن لديهم خبرة في المعارك البحرية، ولكن أضطر الفرعون المصري إلي تجهيز الأسطول للتصدي لهجمات شعوب البحر المتوسط.

*****

كانت السفن المصرية تسبح فوق مياه البحر الهائج ليلًا تتمايل في سرعة رهيبة لم يعهدها المصريون من قبل، صحيح أنها ليست المرة الأولى

التي يركبون فيها البحر. لكنها كانت المرة الأولى التي يتوغلون فيها داخل البحر لهذه الدرجة ويبتعدون بهذا القدر عن الشواطئ، ولم يروا أمامهم سوى..

الماء..

الماء الذي أحاط بهم من كل جانب

الماء الذي لا نهاية له.

لكن...

وكأن السماء لم تكتفي بذلك القدر الهائل من الماء، فأخذت تسقط عليهم المزيد.

الماء، في كل مكان..

حتى فوق رؤوسهم.

تلك الأمطار التي طالما تمنوا هطولها على اليابسة، وصلّوا لآلهتهم من أجلها.

أصبحت الآن لعنة.

وأخذت السماء تكشر عن أنيابها، وظهر رعدها، وصرخ برقها.

واهـتزت بضوءهـا الـبراق الخاطـف الـذي إمـتزج بصراخهـا المرعـب، وظهـرت الأمـواج الهائجـة الطائشـة وكانهـا وحـوش ضاربـة تهاجمهـم في الليـل.

وكان الفرعـون المـصري يترنـح عـلى سـطح إحـدى السـفن، ثـم سـقط بقـوة، وإنزلـق نحـو مقدمـة السـفينة، وكاد أن يسـقط في البحـر لـولا أنـه أمسـك في اللحظـة الأخـيرة بحبـل وجـده أمامـه فجـاءة، وكأن الآلهـه منحتـه ايـاه .

اسـتطاع الفرعـون بأعجوبـة أن يقـف عـلى قدميـه، وقـد أمسـك بـكل قوتـه بذلـك السـور الحديـدي المثبـت عنـد مقدمـة السـفينة، وأخـذ يتنفـس بسرعـة كبـيرة وقـد إزدادت ضربـات قلبـه وهـو يمسـح بيـد عينـه ووجهـه، ومـازال ممسـكا بالسـور الحديـدي باليـد الأخـرى، فتخيـل للحظـات أنـه يحلـم، وأراد بشـدة أن يسـتيقظ مـن ذلـك الكابـوس اللعـين.

لكنه، ليس كابوسًا أو حلمًا

إنه الواقع.

الواقع الذي لا مفر منه.

وكان يقول لنفسه بحزن وأسى شديدين

-مـا هـذا الـذي يحـدث؟ لمـاذا وافقـت عـلى خـوض تلـك المعركـة اللعينـة ؟ فـلا طاقـة لنـا بذلـك البحـر الهائـج ولا بأمواجـه الضاربـة، وهـا هـم رجـالي

يترنحـون، وقـد إمتلئـت أرض السـفينة بقـيء بطونهـم.

فصرخ بقوة اهتزت لها أعماقه

-أيتهـا الآلهـة، أغيثيـني ممـا أنـا فيـه، أغيـثي رجـالي، عـودي بنـا إلى الديـار سـالمين آمنـين.

وفجأة...

إرتطمـت موجـة عنيفـة بالسـفينة جعلتهـا تهـتز بقـوة شـديدة لدرجـة حـدوث شرخ في صـاري السـفينة.

إهـتزت أمعـاء الفرعـون لهـذه الصدمـة العنيفـة، فأخـذ يتقـيء، ويتقـيء، بشـدة

وأخرج كل ما بجوفه..

ثم..

أغمض عينيه، ولم يعد قادرًا على الحركة، وفقد وعيه تمامًا.

بعد أن..

سقط عليه صاري السفينة الذي انكسر منذ لحظات.

*****

# في صباح اليوم التالي

-عمت صباحًا يا مولاي

استيقظ الفرعون على صوت خادمه، ففتح عينيه، ثم تأمل حوله ليجد نفسه ملقى على سرير خشبي في غرفة خشبية صغيرة بالسفينة، وشعر بثقل جسده وهو يحاول جاهدا أن يقف على قدمه التي وجدها مربوطة بقطعة من القماش الأبيض الملطخ بالدماء، ثم دخل عليه قائد الأسطول الذي قال

-حمدًا للآلهة على سلامتك يامولاي.

-ماذا حدث؟

قالها الفرعون وقد ضاقت عينيه وهو يضع يده أمام جبهته محاولًا تفادي شعاع الشمس المباشر الذي اخترق نافذة الغرفة. فرد قائد الأسطول

-لا تقلق يا مولاي، فقد هدأت العاصفة وعادت الأمور كما كانت

توكأ الفرعون على كتف خادمه وخرج من باب الغرفة، فتأكد من كلام القائد ووجد الرجال يعملون، وكل شيء على مايرام، ثم مشى نحو

مقدمة السفينة وأمسك بذلك السور الذي كان متشبثًا به في الأمس فتذكر ماحدث في تلك الليلة الملعونة، ثم تنهد بقوة وقال

-هل يوجد مصابين؟ وكيف حال بقية السفن؟

رد القائد في أسى

-فقدنا عدد من رجالنا يامولاي وعدد من السفن أيضًا.

ضرب الفرعون السور الحديدي الذي أمامه بيده وعض على شفتيه وهو يقول

-سحقًا لتك العاصفة الحمقاء.

ثم سمعوا صوت الرجل الواقف على صاري السفينة -ذلك الصاري الذي نجح الجنود في تثبيته مرة أخرى بأعجوبة شديدة بالأمس- وهو يشير بيده

-هاهي سفن الأعداء

التفت الجميع لصراخ الرجل فهمس القائد في أذن الفرعون

-مازالت لدينا فرصة للإنسحاب يا مولاي

إلتفت الفرعون إليه بسرعة وقال وقد إتسعت عيناه

-ماذا تقول؟

إرتعش القائد من نظرة الفرعون له. لكنه أكمل

-لقد فقدنا الكثير من الجنود والسفن يامولاي، وفرصتنا في تحقيق النصر تكاد تكون معدومة،وهؤلاء ال...

لم يكد القائد يكمل كلماته حتى قاطعه الفرعون الذي إقترب من وجهه وقال له بحزم شديد وهو يضغط على أسنانه

-لا تكمل كلماتك، حتى لا ألقي بك في ذلك البحر اللعين.

ثم صمت قليلًا وأكمل

-ليس بعد كل ما مررنا به، أخبر رجالك أن يستعدوا.

-أمر مولاي

قالها القائد بحزم ثم أصدر تعليماته للجميع بصوت مرتفع

-هيا يا رجال، فقد حان الوقت، استعدوا

إنتقلت الإشارات إلى بقية سفن الأسطول، واستعد الجميع وأخذت السفن المصرية تقترب من سفن الأعداء

ثم..

بدأت المعركة.

المعركة البحرية.

*****

عندما إقتربت السفن المصرية من سفن الأعداء بدأ تراشق السهام بين الجانبين. وفي أثناء ذلك كان بعض الرجال يقفزون من السفن المصرية، فظن الأعداء أنهم المصريين يفروا هاربين.

ولكن..

يفروا إلى أين؟ فالماء حولهم في كل مكان.

تلامست السفن ووقف كل فريق على سور سفينته وأشهروا سيوفهم، فتمزقت الأجساد، وتقطعت الأشلاء، وتطايرت الأطراف، وكثرت الدماء.

وفجأة...

حدث أمر غريب.

غريب جدًا..

بدأت واحدة من سفن الأعداء تغرق في المياه، فلم يكن أمام جنودها إلا خياران أحلاهما مر

فإما أن يقفزوا في الماء..

وإما أن يقفزوا إلى سفن المصريين والذين بالطبع كانوا في انتظارهم.

ثم..

تكرر ذلك مع عدد من سفن الأعداء واحدة تلو الأخرى.

فإنسحبت بقية السفن. وإنتصر المصريون انتصارًا ساحقًا، وكان ذلك بفضل هؤلاء الرجال المصريين الذين قفزوا في المياه في بداية المعركة، والذين كان قد تم تدريبهم للعمل تحت الماء لتخريب سفن الأعداء.

وكان صاحب تلك الفكرة..

هو الفرعون المصري.

الذي استطاع بدهائه أن ينتصر في تلك المعركة..

أول معركة بحرية في التاريخ..

إنه الفرعون..

(رمسيس الثالث)

# نبذة تاريخية

-كانت مصر قد شهدت في نهاية الأسرة التاسعة عشرة حالة من عدم الإستقرار. كما شهدت تغلغلًا من قبل الأجانب حتى في بلاط الملك الحاكم، وكان ذلك بسبب ضعف الحكام الذين جاءوا بعد (رمسيس الثاني).

-ثم جاء (رمسيس الثالث) الذي يعتبره بعض المؤرخون أول حكام الأسرة العشرون حيث لم يحكم أبيه (ست نخت) سوى ثلاث سنوات فقط.

-استطاع (رمسيس الثالث) أن يحقق نصرا تاريخيا على شعوب البحر المتوسط (الثكرت) وهم أصل جزيرة صقلية و(البلست) وهم أصل الفلسطينيين و(الشردن) وهم أصل جزيرة سردينيا وغيرهم، وكانت تلك الشعوب قد إتحددت مع بعضها لغزو مصر.

-يحسب ل(رمسيس الثالث) أيضا هذا العدد الكبير من الإنشاءات التي شهدتها مدينة طيبة (الأقصر) وغيرها من المدن المصرية، وأيضًا ذلك المعبد الذي أقامه للإله أمون ضمن مجموعة معابد الكرنك والذي يعد

أكمل معبد بين هذه المعابد. بالإضافة إلى مقبرته في وادي الملوك والكثير من الآثار التي تركها في مناطق أخرى من مصر.

-ولكن يحسب عليه أنه سمح -بشكل لم يحدث من قبل- للأجانب بشغل بعض الوظائف العليا في البلاط، بل نراهم يحيطون به في القصر يدبرون المؤامرات للإستيلاء على السلطة، مما سيكون له آثار خطيرة على الإستقرار الداخلي والسياسي للبلاد في العصور المقبلة.

-يعتبر (رمسيس الثالث) آخر الملوك العظماء في عصر الدولة الحديثة بل في تاريخ مصر القديم بشكل عام، ولنا أن نتخيل لو أنه لم يقدر على صد هجمات شعوب البحر المتوسط، لما ضاعت مصر وحدها، بل وبعض بلدان الشرق الأدنى القديم أيضًا.

# الفصل الثامن عشر-
# (النفس الأخير)

أخـذت بدايـات إنهيـار الأسرة العشريـن في الظهـور إبتـداءًا مـن الفـترة الأخـيرة مـن حكـم (رمسـيس الثالـث) وجـاء مـن بعـده عـدد مـن الملـوك يحملـون نفـس الإسـم والذيـن نعرفهـم ب(الرعامسـة) والذيـن كان آخرهـم الملـك (رمسـيس الحـادي عـشر) لتنتهـي بذلـك الأسرة العـشرون وينتهـي معهـا عـصر الدولـة الحديثـة وتبـدأ مـصر فـترة جديـدة مـن تاريخهـا، وهـي فـترة عـصر الإنتقـال الثالـث أو الإضمحـلال الثالـث أو العـصر المتأخـر.

انتـشر الفسـاد في أنحـاء البـلاد، وصـم الملـوك آذانهـم عمـا يجري، بـل وفضَّل بعضهـم أن يـترك مقاليـد الحكـم لمسـاعديه ويقيمـون في شرق الدلتـا في قصورهـم، وتسـجل وثائـق هـذه الفـترة أخبـار السرقـات والرشـاوى والإنهيـار الإقتصـادي.

جـاءت هـذه السرقـات نتاجا للفسـاد الذي اسـتفحل أمـره في البـلاد، وللضائقة

الإقتصادية التي مر بها الشعب المصري، ولغيبة الحق والعدل وانهيار الكثير من القيم الأخلاقية، ولأن الثري قد ازداد ثراءًا والفقير ازدادا فقرًا، ولم تعد المحاكم قادرة على أن تفصل بين الناس بالعدل.

في ظل هذا الانهيار الداخلي (ماديًا ومعنويًا) وصل الإنحطاط الأخلاقي إلى حد سمح بعض الناس لأنفسهم بسلب ونهب مقابر الملوك وغيرهم طمعًا فيما تضمه من ثروات تتمثل في الأثاث الجنائزي والكنوز التي تضمها المقابر، وقد ساعدهم على ذلك تواطؤ المسؤلين عما يجري في مقابل رشوة معينة، كما ساعدهم على ذلك أيضًا ضعف إنتمائهم لوطنهم الناتج عن عدم إهتمام الحكام به.

وما أبشع من أن تضيع مقتنيات مقابر ملوك مصر العظام أمثال حتشبسوت وتحتمس الثالث وأمنحتب الثاني وحور محب ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث وغيرهم، فإذا كانت مقتنيات مقبرة أقل ملوك مصر شأنًا (توت عنخ أمون) بهذه العظمة، فكيف كانت مقتنيات مقابر أولئك الملوك العظام الذين أشرنا إليهم.

ظل الفساد ينتشر في أنحاء البلاد إلى أن جاء الآشورين (من العراق) لإحتلال مصر مستغليين حالة الفوضى والضعف التي وصلت إليها البلاد.

ثم جاء إلى الحكم في مصر الملك (أبسماتيك الأول) الذي أسس الأسرة

السادسة والعشرون، وتعتبر الفترة التي حكمتها هذه الأسرة بمثابة النفس الأخير والصحوة الأخيرة في تاريخ الحضارة المصرية القديمة.

استطاع (أبسماتيك الأول) أن يطرد الآشوريين ويحقق الإستقلال لمصر. بل وأرسل حملة إلى فلسطين محاولًا بذلك استرجاع بعض النفوذ المصري في غرب أسيا، وإعادة هيبة مصر في الخارج، كما بذل جهدا كبيرًا لإصلاح أحوال البلاد في الداخل، وحقق لمصر بعض الرخاء الذي لم تنعم به منذ عهد (رمسيس الثالث).

جاء بعده في الحكم ابنه الملك (نيكاو الثاني) الذي لا يقل أهمية عن أبيه، حيث إهتم منذ بداية حكمه بإقامة المشاريع والمنشآت، وبإصلاح كل ما يمكن إصلاحه في مصر مع محاولة الحفاظ على سمعتها في منطقة غرب أسيا.

ومن بين المشروعات التي قام بها (نيكاو الثاني) هو إعادة حفر قناة سيزوستريس التي كانت قد إندثرت معالمها بفعل الإهمال في العصور السابقة.

وقد ذكر (هيرودوت) أن (نيكاو) أنشأ أسطولًا في البحر الأحمر وأنه أراد تحقيق أهداف تجارية وعلمية أيضا تتمثل في إكتشاف ساحل أفريقيا، وقد أرسل لهذا الغرض بعثة بحرية تضم مجموعة من السفن على

ظهرها الملاحين والفنيين. وقد استغرقت الرحلة ثلاث سنوات في دورتها حول الساحل الأفريقي، وعاد الملاحون من مضيق جبل طارق إلى مصر يحملون خيرات البلاد التي مروا بها.

وقد نجحت هذه الرحلة في تحقيق أغراضها العلمية، حيث يذكر (هيرودوت) أن البحارة أخبروا أنهم ساروا دائمًا وكانت الشمس تشرق عن يسارهم، ولكنهم وصلوا إلى نقطة فإذا بهم يرون الشمس تشرق عن يمينهم.

وقد كان من الصعب على (هيرودوت) تصديق هذه الرواية، ولكن الواقع يشير إلى صدق ودقة ما ذكره الملاحون. فدوران الشمس قد حدث عندما دارت السفن حول رأس الرجاء الصالح.

بوفاة (نيكاو الثاني) تدخل مصر في مرحلة مظلمة طويلة من تاريخها حيث تقع فريسة في أيدي العديد من المحتلين من مختلف أنحاء الأرض.

# الفصل الأخير
# (ما أشبه اليوم بالبارحة)

في عهد (أبسماتيك الثالث) آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرون، إحتل الفرس مصر بقيادة ملكهم (قمبيز) ٥٢٥ ق.م، واستمر إحتلالهم حتى غزاها (الإسكندر الأكبر) عام ٣٣٢ ق.م، وبنى مدينة الإسكندرية، وبعد وفاته خضعت مصر لحكم خلفائه البطالمة، وآخرهم (كليوباترا السابعة).

أغرم القائد الروماني (أنطونيوس) بكليوباترا. وتحالفا معا ضد القائد الروماني (أوكتافيوس) الذي حاربهما وانتصر عليهما في معركة (أكتيوم البحرية)عام ٣١ ق.م ثم دخل مصر عام ٣٠ ق.م وبذلك أصبحت مصر تابعة للإمبراطورية الرومانية، ثم دخلت المسيحية مصر في هذا العهد.

دخل العرب المسلمون مصر عام ٦٤١م بقيادة (عمرو بن العاص) وكان ذلك في عهد الخليفة الراشد (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه، وقد قام (عمرو بن العاص) ببناء مدينة الفسطاط واتخذها عاصمة لمصر، وبنى بها الجامع الكبير الذي سمي بإسمه، وبذلك أصبحت مصر جزء من

الدولـة الاسـلامية.

ظلـت مـصر تابعـة للدولـة الاسـلامية في العهـد الأمـوي والعبـاسي، وفي أثنـاء العـصر العبـاسي إسـتطاع (أحمـد بـن طولـون) أن يسـتقل بمـصر ويؤسـس (الدولـة الطولونيـة ٨٦٨م : ٩٠٥م) وبـنى مدينـة القطائـع شـمال الفسـطاط وإتخذهـا عاصمـة لمـصر، ثـم عـادت مـصر للدولـة العباسـية مـرة أخـرى.

اسـتطاع (محمـد بـن طغـج الإخشـيد) أن يسـتقل بمـصر عـن الدولـة العباسـية كمـا فعـل (أحمـد بـن طولـون) وأسـس (الدولـة الاخشـيدية ٩٣٥م : ٩٦٩م)

ثـم اسـتولى القائـد (جوهـر الصقـلي) عـلى مـصر بأمـر مـن الخليفـة الفاطمـي (المعـز لديـن الله)، وبـنى بهـا مدينـة القاهـرة وإتخذهـا عاصمـة لمـصر، وبـنى بهـا الجامـع الأزهـر، وبذلـك أصبحـت مـصر فاطميـة (٩٦٩م : ١١٧١م)

اسـتطاع (صـلاح الديـن الأيـوبي) أن يقـضي عـلى الدولـة الفاطميـة، ويؤسـس (الدولـة الأيوبيـة ١١٧٤م : ١٢٩٤م)، ثـم قويـت شـوكة (المماليـك) وسـيطروا عـلى مـصر وطـال حكمهـم بهـا.

دخـل السـلطان العثمـاني (سـليم الأول) مـصر عـام ١٥١٧م بعـد أن شـنق آخر سـلطان مملـوكي بهـا (طومـان بـاي)، وأصبحـت مـصر تابعـة للدولـة العثمانيـة، وقـد ظـل المماليـك يحكمـون مـصر ولكـن تحـت إشراف العثمانيين.

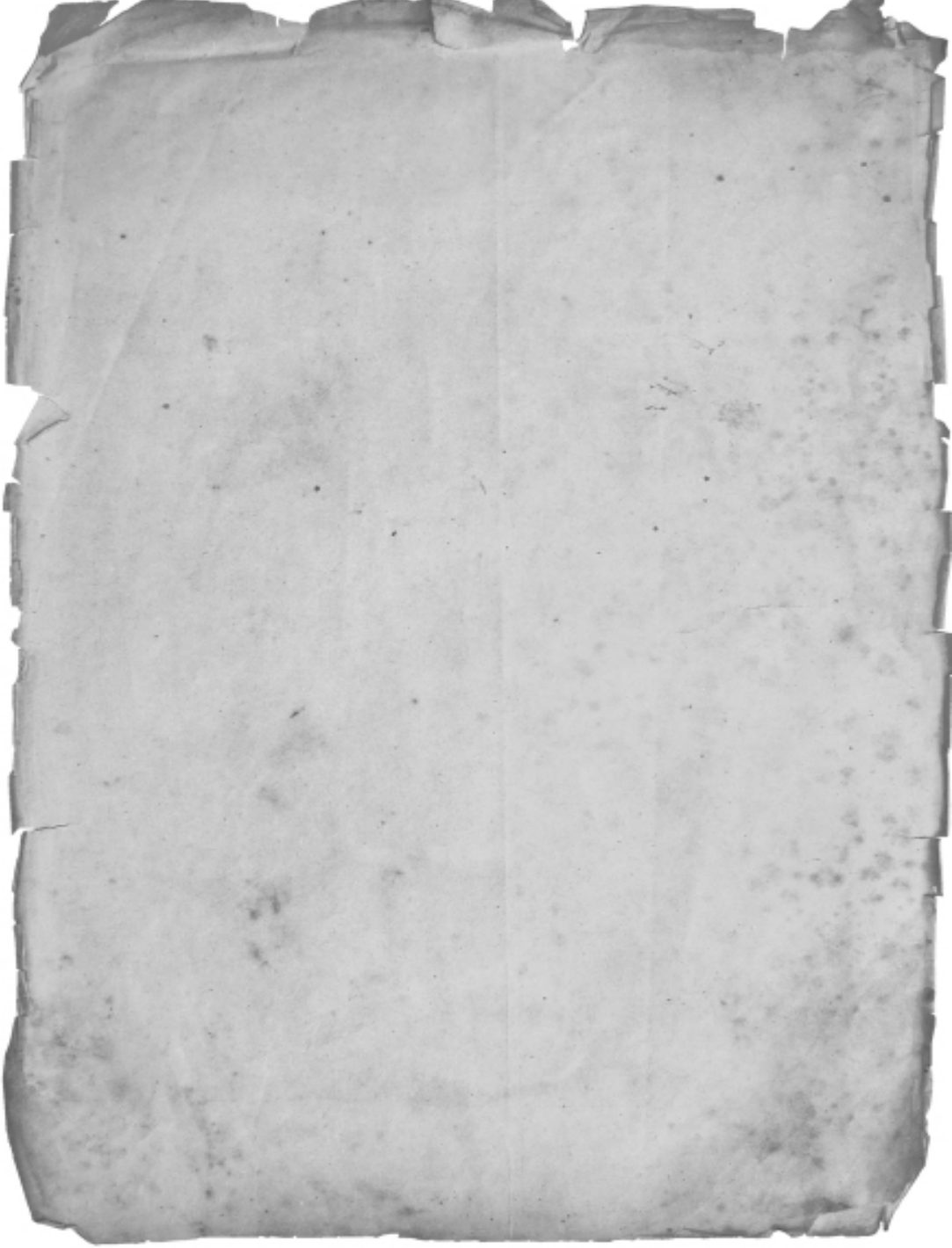

تم بحمد الله ...

أحمد غزالي

# الفهرس


| | | |
|---|---|---|
| | مقدمة | ٥ |
| | مدخل | ٦ |
| الفصل الأول | الموحد | ٨ |
| الفصل الثاني | سقارة | ١٤ |
| الفصل الثالث | الأكبر | ٢٥ |
| الفصل الرابع | الأوسط | ٣١ |
| الفصل الخامس | الأصغر | ٣٨ |
| الفصل السادس | كاهن الشمس | ٤٤ |
| الفصل السـابع | الثورة | ٥٢ |
| الفصل الثامن | النبوءة | ٦٢ |

| | | |
|---|---|---|
| الفصل التاسع | سيزوستريس | ٧٠ |
| الفصل العاشر | التحرير | ٨٠ |
| الفصل الحادي عشر | الملكة | ١٠٢ |
| الفصل الثاني عشر | العظيم | ١١٣ |
| الفصل الثالث عشر | الدرويش | ١٢١ |
| الفصل الرابع عشر | الألعوبة | ١٣٤ |
| الفصل الخامس عشر | القائد | ١٣٩ |
| الفصل السادس عشر | بطل الحرب والسلام | ١٤٤ |
| الفصل السابع عشر | آخر العظماء | ١٥٩ |
| الفصل الثامن عشر | النَفس الأخير | ١٧٠ |
| الفصل الأخير | ما أشبه اليوم بالبارحة | ١٧٤ |

كم لديك من السطور الجميلة التى اخذت
منك الكثير من المجهود و الاعتناء
لكى تكون افضل ما يمكن
لكى تعبر بها عن شعور داخلى
لم تستطيع ان تشاركه مع احد غيرك
مهما كانت سطورك
قصص .. روايات .. اشعار .. مقالات
باللغة
العربية او الإنجليزية او الفرنسية

تواصل معنا لتشارك سطورك مع العالم